

دراسة موضوعيّة وفنية 1

الشاعر علي بن المقرب العيوني

بقلم : الدكتور / أحمد موسى الخطيب

بالشعر.. أرّخ ابن المقرب



دولةِ العيونيين

هـــذا البحـــث

الشاعر البحريني القديم والشهير علي بن المقرب العيوني لا تكمن أهميته فقط في أنه أحد الشعراء المجيدين الذين عرفهم تاريخ الأدب العربي وإنما ترجع أهميته في أنه يعتبر المرجع الأهم بل يكاد يكون المصدر الوحيد . لتاريخ دولة كاملة هي دولة العيونيين التى حكمت البحرين لأكثر من ١٥٠ عاما بدأت مع أوائل القرن الثالث عشر الميلادي وشغلت مساحة ليست بسيطة في تاريخ هذه الجزر العريق .. وكأنما كان الشاعر علي بن المقرب يعرف أن مصادر تاريخ هذه الدولة سوف تضيع فأرخ بشعره لها ولحكامها ورسم بقلمه صورا دقيقة لواقع الحياة خلال الفترة التى عاشها وعايش فيها دولة العيونيين . وإذا كان البحث في تاريخ علي بن المقرب وشعره أمرا اكثر أهمية بالنسبة للباحث في الأدب واللغة الا أنه سيظل دائماً أمراً هاماً بالنسبة للباحث في تاريخ دولة البحرين بصفة عامة وعصر العيونيين بصفة خاصة وذلك ما دفعنا إلى أن نعرض على صفحات الوثيقة هذا البحث القيم للباحث الدكتور / أحمد موسى الخطيب راجين أن يحقق الهدف منه وهو توفير بعض المادة التاريخية عن تاريخ هذه الدولة للباحثين في تاريخ البحرين .

(الوثيقـــة)

الرجل .. عصره .. وحياته
(عصره : الزمان)

حرى بنا قبل الوقوف على البيئة الخاصة للشاعر ، أن نلقي نظرة على البيئة العامة له ، ونقصد بذلك عصره ، وأحـوال سائـر الأمصـار العـربيـة الأخرى ، وذلك لأن الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية للأمة العربية كل لا يتجزأ ، مهما تباعدت أقطـارها ، فهى مشـدودة ـ دائما ـ بأواصر متينة اذا فدراسة أى قطر عربي بمعزل عن الاطار القومي العام ، تعد دراسة ينقصها الكثير من الكمال .

لقد ظلت الشعوب الاسلامية مجموعة الى لواء الخلافة زهاء قرنين من الزمان ، ثم بدأت الخلافة المركزية في الضعف ، وأخذت أجزاؤها تتفرق واحدة بعد

واحدة ، ولم يكن هذا التفرق نتيجة لضعف الخلافة العباسية وحده ، وإنما يرجع في بعض أسبابه الى تطور الوحدات والشعوب الاسلامية تطورا ، جعل بقاء الوحدة الشاملة أمرا غير ميسور ، ونعني بهذا التطور نهوض بعض الأجناس الاسلامية ، واتجاهها نحو القوة ، وميلها الى بدء حياة قومية جديدة . فلما كان النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، والسنوات الأولى من القرن الرابع . كانت الدولة العباسية الكبرى قد بدأت أركانها تتصدع ، وأمصارها تستقل ، وولاياتها تنفصل عنها ، وأصبحت العاصمة «بغداد» مركزا للدسائس والمؤامرات ، فتقلص ظل الخلافة ، وذابت سطوتها ، وأصبح الخليفة أسير قصوره وقواده ، لايكاد يملك من أمر نفسه شيئا .(١)

ولم يلبث الفرس أن طردوا ، حين أظهروا عجزهم عن قمع الفوضى المنتشرة في قلب الامبراطورية الاسلامية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد أحس العباسيون بالخطر الذي سيجلبه عليهم تسلط الفرس على أمور الدولة ، ولذلك حاولوا التخلص منهم ، فجاءوا بالترك ، وسلطوهم عليهم ، وكان هذا بلاء جديدا ، ومرضا أفتك من المرض الأول ، دخل جسم الأمة العربية ، لأن الفرس كانوا قوما ذوى حضارة قديمة ، وعلم موروث ، فلما توطدت أركانهم في الدولة العربية نشروا علمهم ، وبعثوا حضارتهم ، أما الترك فقوم لم يعرفوا بحضارة ، ولا روى عنهم علم موروث ، فلما استولوا على زمام أمر الدولة العربية ، سيطر عليها الجهل وعمت الفوضى ، وفشا الفساد ، وأصبح من الطبيعي أن تصل الدولة العربية الى حالة مزعجة من الفساد»(٢) حتى في عهد أقوى شخصياتها الوزير نظام الملك(٣)«الذى ترك رسالة رائعة ، كشف فيها النقاب عن مساوىء الادارة في الامبراطورية السلجوقية» .(٤)

وسرعان ما تجزأت الامبراطورية السلجوقية ، وفقد الأمراء من هذا البيت سلطانهم بالكلية ، بعد أن استبد بها من دونهم من الأتابك ، الأوصياء عليهم .(٥)

وهكذا كان العالم العربي عامة ، والعراق خاصة في فجر القرن السابع ، على حالة مزعجة من الاضطراب والفوضى ، والسر في ذلك يرجع الى الخلفاء الذين أصبحوا ألعوبة في يد الأعاجم من الأتراك والسلاجقة ، يتصرفون بالبلاد كما يشاءون ، ويقضون على القومية العربية بما يريدون .(٦)«وقد كان خلفاء بنى العباس المتأخرين ، وهم قادة المسلمين اسميا ، لا يتمتعون الا باحترام معنوى خارج مملكتهم الصغيرة ، التى لم تكن تقدم لهم من الامكانات ، ما يساعدهم على النهوض بواجب سياسي خطير .(٧)«وكان الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ)(٨) هو أول هؤلاء الخلفاء الذين بدأ الغزو المغولي في عهدهم ، وقد اشتد في أيامه انحلال الامبراطورية السلجوقية ،(٩) «وكان الناصر قبيح السيرة في رعيته ظالما متعسفا ، أكثر عليهم الجواسيس ، واشتط في فرض الضرائب ، وأخذ أموال الناس حتى خرب العراق في عهده ، وتفرق أهله في البلاد ، وكان يفعل الشىء " وضده ، فكان يتشيع ويميل الى مذهب الامامية بخلاف آبائه »(١٠) والواقع أن هذا الخليفة الذى يعد آخر الدهاة من بنى

العباس ، كان يحاول أن يمكن لسلطته الهزيلة المثقلة ، بعمل بارع قوامه موالاة الشيعة ورعايتهم .(١١)

ولما آلت الخلافة الى المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠هـ)(١٢) ، ثم الى المستعصم بالله (٦٤٠ - ٦٥٦هـ)(١٣) ازدادت الفوضى ، واضطرب حبل الأمن ، وبخاصة في عهد الأخير ، فقد كان ضعيف الرأى ، لا يسمع له قول(١٤) ، منصرفا الى اللهو وسفاسف الأمور ، ولم تكن حاشيته ورجال بلاطه أفضل منه . ولما أخذ خطر التتريقوى ، وشرعت أخبارهم تصل الى بغداد ، حاول بعض العقلاء من رجال الدولة تقويم اعوجاج الخليفة ، واصلاح حال الحاشية ، والدعوة الى الأخذ بأسباب النهوض بالبلاد والدفاع عنها من الخطر الداهم ، ولكن الخليفة الأخرق ، وحاشيته الخبيثة ظلوا سادرين في غيهم ، لا يسمعون لنصح المخلصين ، ولا يعملون على اصلاح حال البلاد ، وانقاذها مما هى فيه من الاضطراب والفساد .(١٥)

وأطل القرن السابع على الجزيرة وهى غارقة في سبات عميق ، وجهل مطبق ، فقد أهملها خلفاء بنى العباس ، الا مكة والمدينة ، فانهم قد وجهوا اليهما بعض العناية ، لما لهما من المكانة الدينية ، والقداسة التاريخية ، أما سائر المدن في الحجاز ونجد واليمن وحضرموت وغيرها من بقاع الجزيرة العربية الواسعة ، فقد كانت الفوضى ضاربة أطنابها فيها ، وكانت أخلاق الناس في بلاد العرب سائرة نحو الانحلال ، وكانت البلاد مقسمة الى دويلات وامارات ، يحكم كلا منها حاكم مستبد مستقل ، ولا سلطان لأحد عليه ، حتى ليخيل للمرء أن الجزيرة العربية قد عادت الى جاهليتها الأولى أو كادت .(١٦)

وهكذاكان حال الحاضرة العربية ، أما البادية فحدث عن فوضاها ، وتناحر قبائلها ماشئت ، واذا كانت نفس البدوى في طبيعتها لا تقبل النظام ، حتى في عصور القوة ، والحكومات الرشيدة ، والامارات الفاضلة ، فأحرى بها أن لا تقبل شيئا من النظام في عصور الضعف ، والحكومات الفاسدة ، والامارات الجاهلة ، واذا كانت هذه حال الجزيرة ، فمن الطبيعى أن تنقطع الصلات التاريخية بينها وبين كثير من أجزاء العالم العربي ، وهكذا كان الأمر ، فقد أضحت أخبارها شبه مجهولة ، وتاريخها غامضا ، أو كالغامض ، ولذلك صار علمنا عنها قليلا .(١٧)

أما الولايات الاسلامية الأخرى كالجزيرة ومصر ومعظم بلاد الشام فلم تكن أحسن حالا ، نظرا لانقسام الدولة الأيوبية بعد وفاة الملك العادل - أخى صلاح الدين عام ٦١٥هـ - بين أولاده ، الذين انشغلوا بالمنازعات والحروب ، وتهديد الدويلات الصليبية ، التى كانت قائمة في سوريا وفلسطين ومصر" .(١٨)

«وكانت فكرة الحرب في سبيل الأرض المقدسة قد انكمشت في تلك الفترة ، ولكن «أندراوس» ملك المجر ، لم يلبث أن بعثها من مرقدها عام ٦١٤هـ ، قبيل وصول الحملة الى دمياط» .(١٩) وقد أشار ابن المقرب في مدحه للملك الأشرف (ت ٣٦٥)(٢٠) الى الدور الذى نهض به في قتال الصليبيين ، ودفع خطرهم عن دمياط عام ٦١٧هـ حين سار اليهم من أرض الجزيرة في الشام :

سل الكفر من أودى بدمياط ركنه :
وقصر أعلى فرعه وهو باسق
يخبرك صدقا أن موسى هو الذى
بصارمه باقت عليه البوائق
وقد جاءت الافرنج من كل وجهة
كأن تداعيها السيول الدوافق
كتائب ملء البر والبحر من بدت
له قال ذا جنح من الليل غاسق[٢١]

ثم يصف المعركة وهولها ، وبطولة الملك الأشرف ، وما أوقعه فيهم من قتل ، سال على اثره بحر من الدماء على شاطىء دمياط :

فسال دم لو سال في الارض لاستوى
بها ردغ ما عمرت ومزالق
جرى منه فوق البحر بحر فموجه
إلى الآن من بعد الاقاحى شقائق[٢٢]

ونتيجة لهذا وذاك من الظروف السيئة ، التى شملت العالم العربي ، فقد تعذر اقامة حلف أو جبهة اسلامية تستطيع الوقوف في وجه المغول ، ولذلك لم يكن سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ حدثا مفاجئا ، وانما كان نتيجة حتمية لضعف العالم الاسلامي .

«ولئن كان الاتراك قد أوقعوا أعظم الأذى - خلال قرون متطاولة من سوء الادارة - بحضارة ايران والعراق ، التى بلغت في يوم غاية ما بعدها من الازدهار ، فقد كان من نصيب أنسابهم التتار أو المغول ، في مستهل القرن الثالث عشر ، القضاء نهائيا على تلك الحضارة» .[٢٣]

اضطربت الحالة العامة في العراق اضطرابا شديدا منذ فجر القرن السادس ، واستمر هذا الاضطراب الى هذا القرن السابع ، ففي القرن الماضى كان الأمر بيد الأعاجم من الفرس ، والأتابكة والترك ، ولكنهم كانوا على شيء من معرفة الادارة والاطلاع على السياسة ، وخشية الجانب العربي ، أما في هذا القرن ، فقد ساءت حالة أولى الأمر ، وبخاصة الخلفاء الى درجة أصبح معها من المستحيل بقاء الحكم في أيديهم ولو اسميا ، لأنهم استسلموا للمماليك والخصيان والجوارى ، الذين سيطروا على قصورهم ، وتحكموا فيهم كل تحكم .[٢٤] وقام النزاع بين القواد ، الذين طالبوا بزيادة أرزاقهم ، وتفاقمت العداوة والبغضاء بين الشيعيين والسنيين ، واشتد خطر فيضان دجلة ، فاختل الأمن ،[٢٥] وشاع نظام المصادرة والتعدى على الناس والقضاء على الحريات ، ومحو العدل والمساواة ، ولم تكن حالة الشعب أفضل من حالة الخليفة ورجالات عصره ، فقد كان عامة الناس على جانب عظيم من التفسخ الخلقى ، والفساد الاجتماعي ، لأن العناصر الدخيلة قد دخلت بينهم ، وأعملت فيهم فسادا وتمزيقا ، حتى انقسموا على أنفسهم شيعا ، كل شيعة تناصر احدى الدول الأجنبية المجاورة ، حتى فقدت العصبية العربية تماما ، وكان لدسائس الفرس والترك ، أثر كبير في هذا التفرق والفساد ، وبخاصة ملاحدة الباطنيين ، وأتابكة الترك ، ومفسدى المغول ،[٢٦] أضف الى هذا انتشار طائفة من المفاسد والأمراض الاجتماعية ، التى ما دخلت أمة الا أهلكتها ، وسلبت عزتها ، وكرامتها القومية ، من الخلاعة ، واستيلاء الخصيان والمماليك والجوارى على زمام الأمور ، والى جانب هذا وذاك طائفة من الأمراض والأوبئة التى استوطنت

العراق كالحميات والطواعين .[٢٧]

واذا كانت هذه حال العراق - وهو مهد الخلافة العباسية ، وميزان الامبراطورية الاسلامية - فكيف تكون حال سائر ممالك الخلافة التابعة لها ؟ والحق أنها كانت في حالة مزعجة ، سواء من حيث التفكك أو الجهل أو الفساد أو الاضطراب ..

تميز القرنان السادس والسابع بعد الهجرة ، بتقدم زراعي ، وتنوع في الثورة الزراعية ، وقد أدى هذا بدوره الى قيام صناعات عديدة ، ترتكز على الحاصلات الزراعية ، والثروة المعدنية . وكذلك تجلى في هذا العصر انتعاش التجارة الداخلية ، كما نشطت حركة التبادل التجاري بين مدن العراق ، وبلاد المشرق الاسلامي ، بفضل انشاء الطرق وتأمينها . وكان من أثر وفرة المحاصيل الزراعية وتنوعها ، وتقدم الصناعات وازدهارها ، ونشاط حركة التجارة أن رخصت الأسعار ، وتحسنت أوضاع الناس المعيشية .[٢٨]

ويمكن القول أن النشاط الزراعي في العراق خلال القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع كان جيداً ، وأن القرى والمدن كانت عامرة .[٢٩]

وكانت التجارة مهنة نشيطة خلال العصر العباسي الأول ، وقد استمرت كذلك حتى هذه الفترة .[٣٠] وقد كانت مصنوعات الحديد العراقية تستهوي التجار فيستوردونها الى أوطانهم[٣١] ، كما فعل شاعرنا علي بن المقرب العيونى ، اذ اشترى حديدا من بغداد ، وانحدر به الى البصرة ، مارا بواسط ، وقد استوقفه بواسط ضامن المكوس ، وأخذ منه مكسا بقدر نصف الثمن ، حيث كان ثمن المنّ الواحد ببغداد دينارين ، بينما كانت الضريبة دينارا واحدا على كل منّ حديد ، لذا هجا ابن المقرب ضامن المكوس بواسط بقوله :

بع واسطا بالنأى والهجر
ودع المرور بها الى الحشر
أرض يدبرها ابن صابئة
شابت مفارقها من الكفر[٣٢]

ثم يشير الى اجحافهم في الضريبة ، الى حد وصفه لهم بقطاع طرق ، لاضامنى مكوس :

أسرفت في ظلم العباد أما
للبعث في ناديك من ذكر
وأعنت قطاع الطريق على
فقر التجار وخيبة السفر
نصف البضاعة حين تظفرها
مكس لقد بالغت في النكر
خنت الخليفة في رعيته
وعصيته في السر والجهر
وكلت عثمانا فوافقني
فيها وتابعه أبو بكر
حتى خرجت على حسابهما
مما جلبت براحة صفر[٣٣]

ولكن مهزلة «قطاع الطرق» من رجال المكوس لم تنته عند هذا الحد ، فلما وصل ابن المقرب البصره ، أخذ منه ضامن مكسها ضريبة يسيره ، ثم عاوده ليأخذ منه مرة أخرى[٣٤] ، فكتب ابن المقرب قصيدته التى تقع في ثمانية أبيات ، وبعث بها الى أمير البصرة شمس الدين باتكين[٣٥] ، يشكوه ذلك ، ويطلب منه دفع قيمة المكس :

يا شمس دين الله كم لك من يد
يثني بها باد ويشهد حاضر
ولدي أعمدة قليل قدرها
جدا وللديوان وال قادر
لا شيء عندي : مكسها لكنني
أخشى يقول الناس جاهك قاصر
ولقد جرى فيها بواسط وقعة
ما كان لي فيها هنالك ناصر [٣٦]

ثم يختتم هذه الابيات بقوله :

فادفع بجاهك أو بمالك منعما
عني فما لك للعفاة ذخائر

ويتضح جليا من هاتين القصيدتين أن الزيادة في المكس واقعة من قبل الضامن ، وليس للحكومة ممثلة بخليفتها أو ولاتها علم بذلك ، ولذلك طلب الشاعر مساعدة والى البصرة .

لقد أثبتت كتب التاريخ والأدب أن الحركة العلمية والأدبية ، كانت مزدهرة في هذا العصر في بلاد العراق ، والمشرق الاسلامى ، فاهتم كثير من العلماء والفقهاء بالاشتغال بالعلوم الدينية واللسانية ، من قراءات وتفسير وحديث . وظهرت عدة مراكز للثقافة العلمية ، ولكن بغداد احتفظت بمركزها الخاص .

وكان لاستقلال بعض الدول عن الخلافة أثره في نشاط الحركة الفكرية ، ورواج الثقافة ، فزخر بلاط هذه الدول بالعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم ، ومن ثم نرى صدى هذه النهضة في بلاط كل من الغزنويين في الشرق والفاطميين والأيوبيين في مصر والشام ، والأمويين في الأندلس ، والمرابطين والموحدين في المغرب .[٣٧]

«وهكذا كانت الثقافة العربية الاسلامية تمتد - في القرنين السادس والسابع الهجريين - من الهند الى الأندلس ، وتبادل العلم والعلماء قائم بين هذه الدول جميعا ، وان تباعدت أصقاعها ، واختلفت ألوانها السياسية ، أو تعادى ملوكها وحكامها ، فان الثقافة العربية حينئذ لم تعترف بالحدود الاقليمية ولا السلطان والفوارق السياسية أو العنصرية ، فيخرج العلماء من شتى بلاد المشرق ، أو يجوبون هذا العالم العربي الاسلامي ، من حدود الهند وأذربيجان الى أقصى حدود المغرب والاندلس» .[٣٨]

ويجب أن لا نغفل في هذا المقام دور كثير من الفرق ، التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق أغراضها السياسية ، وما كان لها من أثر في النهضة العلمية ، وخير مثل لذلك الآثار التي خلفها العلماء من السنيين والشيعيين .[٣٩]

وقد تميزت الحركة العلمية والأدبية ، في العراق والمشرق على عهد الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ) بميزتين أساسيتين ، تندرج تحت كل منهما خصائص فرعية متنوعة ، أولاهما : صفة الشمول التي اتسمت بها أفاق النشاط الذهني ، فاتسع نطاق البحث حتى شمل مختلف العلوم والآداب والفنون . وثانية الخصائص تتعلق بالأسلوب ، فقد تجلت الصناعة اللفظية في كتب العلوم والآداب والفنون .[٤٠]

أما حال الشعر في هذا العصر فقد تغيرت عما كانت عليه قبله ، بعد ذهاب سيف الدولة ، والصاحب بن عباد وغيرهما من الآخذين بناصر الأدباء والشعراء . وصارت أكثر أمور الدولة الى

الأعاجم، وانصرفت القرائح الى الفقة والتصوف وغيرهما من العلوم الدينية ، وظهر الأدب الشعبي نتيجة لفقدان الرعاية ، فأصبح الشاعر لا ينظم رغبة في الجائزة ، أو تنافسا في التقدم لدى ولاة الأمر ، وانما ينظم في الأكثر ارضاء لقريحته ، فتغيرت أغراض الشعراء من النظم ، وقل النابغون منهم ، ومع اتساع الدولة الاسلامية ، وطول هذا العصر ، لم ينبغ فيه من الشعراء البلغاء نصف ما نبغ في العصور السابقة . ونظرا لما توالى على الدولة الاسلامية من الإحن والفتن ، كسدت سوق الشعر ، وأصبح المنتجع من الشعراء لا يستنكف من شكوى الفقر وطلب الرفد بصراحة . ويمتاز هذا العصر باتقان الصناعة اللفظية على الاجمال ، ولحق الشعر منها حظ كبير ... فأصبح الشاعر يصرف همه الى اللفظ ولو سخر له المعنى أحيانا .[٤١]

هكذا فقد شهد هذا العصر قدرا كبيرا من الفوضى والاضطراب ، وضعف السلطة المركزية ، وتفكك أطراف الدولة الكبرى ، وصراع هذه الدويلات وتنافسها ، وترتب على هذا سوء الأحوال الاجتماعية ، وانتشار الأوبئة الاجتماعية والمادية . وعلى الرغم من هذا وذاك ، فقد شهد هذا العصر تقدما زراعيا وصناعيا ، وشيئا من الرخاء الاقتصادي ، حال رجال المكوس دون تمتع الرعية بهذا الرخاء ، وذلك التقدم . وكانت الحياة العلمية والأدبية أحسن حظا من سائر حيوات هذا العصر ، ولكن الشيء المتفق عليه ، أن هذه الفترة قد تميزت بالمحاكاة ، وخلت ـ أو كادت تخلو ـ من الابداع والابتكار ، وحال الشعر خير دليل على هذا .

(٢)

مع مطلع القرن الرابع الميلادي استولى سابور (ملك الفرس) على البحرين ، ونكل بأهلها ، وعندها أصبحت تابعة لملكة الفرس ،[٤٢] «وعاملها من قبلهم المنذر بن ساوى التميمي» ،[٤٣] وكان بها خلق كثير من عبدالقيس ، وبكر بن وائل ، وتغلب ، وتميم ،[٤٤] وكانت «عبدالقيس» قد جاءت من تهامة الى البحرين ، يقودها عمرو بن الجعيد بن الدؤل بن شن بن أفص بن عبدالقيس ، فزاحمت قضاعة واياد ، وغلبتهما ، واستوطنت فيها .[٤٥] وحين خرجت رسل الخير من «يثرب»تحمل بشرى الدين الجديد الى أطراف شبه الجزيرة ، أنفذ الرسول ﷺ العلاء بن عبدالله الحضرمي ليدعو أهلها الى الاسلام أو الجزية ، فأسلم أهلها العرب وبعض المجوس .[٤٦] وكانت رياستها في صدر الاسلام لبني الجارودي .[٤٧] وبقيت البحرين تحت سلطة الدولة العباسية حتى عام ٢٤٩ هـ ، الى أن هاجمها الزنج بثورتهم المشهورة ، وأصبحت تحت سلطانهم مدة احدى وعشرين سنة ، وعندما هلك صاحب الزنج عام ٢٧٠ هـ رجعت البحرين الى تبعية الدولة العباسية حتى زمن المستكفي[٤٨] بالله (٣٣٣ ـ ٣٣٨ هـ) .[٤٩] وفي عام ٢٨٦ هـ ظهرت بالبحرين جماعة القرامطة[٥٠] بزعامة أبي سعيد الجنابي ، والتفت حوله جماعة من الاعراب ، فقوى أمره ، واستولى على القطيف ، ثم عبر الى أوال ،[٥١] وفي السنة التالية أغار على نواحي هجر ، وبعد ذلك توالت غاراتهم

داخل الجزيرة وخارجها ، وأخذهم الحاج غيرة مرة .[٥٢]

وفي عام ٣٠١ هـ يقتل زعيمهم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي بعد أن استولى على هجر ، والاحساء ، والقطيف ، والطائف ، وسائر بلاد البحرين .[٥٣] وكان لموت مقدمهم هذا أثر كبير على أوضاعهم السياسية التي بدأ الضعف يدب فيها ، ولكنهم مع هذا استمروا عائثين في الأرض .. ناشرين الفزع ، ومخلفين الموت والدمار ، وبلغ بهم التطرف والاستهتار الى حد اقتلاع الحجر الأسود عام ٣١٧ هـ وأخذه الى الاحساء مدة اثنتين وعشرين سنة .[٥٤] وفي عام ٣٢٦ فسدت حالهم وقتل بعضهم بعضا ،[٥٥] ومع هذا توالت غاراتهم الى دمشق ، ومنها الى الرملة ، فالديار المصرية ،[٥٦] ومع بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري يبدأ الجموح القرمطي في الانحسار ، ويرى ابن الأثير[٥٧] أن زوال ناموسهم كان بهزيمة صمصام الدولة لهم عام ٣٧٥ هـ ، وقتل مقدمهم وغيره ، وأسر جماعة منهم ، ونهب سوادهم . ويرى ابن خلدون[٥٨] مثل هذا في تفرق أمرهم وتلاشي دعوتهم بعد تلك الهزيمة ، وكلا المؤرخين متفق على أن ظهور الأصفر (الأصعر) ابن أبي الحسن الثعلبي ـ من بني المنتفق ـ على مسرح الأحداث عام ٣٧٦ هـ كان ايذانا بذهاب دولتهم ،[٥٩] فقد حشد لهم جمعا كبيرا ، وتمكن من هزيمتهم ، وقتل مقدمهم ، وأسر العديد منهم ، وتبعهم الى الاحساء ، فتحصنوا منه ، فعدل الى القطيف ، فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم ، وسار بها الى البصرة ،[٦٠] ثم تمكن عام ٣٩٨ هـ من الاستيلاء على الاحساء ، والخطبة للخليفة العباسي ، وبهذا فقد أذهب دولتهم ، وأقر الأمر له ولبنيه .[٦١] ولكننا نجد أن باحثا[٦٢] معاصرا يبكر قليلا في انهاء دولتهم الى نحو منتصف القرن الرابع الهجري ، اذ دخلوا عام ٣٥٨ هـ في طاعة الخليفة العباسي ، وخطبوا له على المنابر ، ولعله بهذا يشير الى تولي أبي علي الحسن بن أحمد أمر القرامطة عام ٣٥٩ هـ وكان يلقب بالأعصم وقيل الأغنم ، وطالت مدته ، ونفى جمعا كثيرا من ولد أبي طاهر الى جزيرة أوال ، وحج بنفسه ، ولم يتعرض للحاج ولا أنكر الخطبة للخليفة العباسي .[٦٣]

ولكن ابن المقرب يضعنا أمام حقيقة أخرى حين يشير الى الدور الذي نهضت به أسرته في القضاء على القرامطة فيقول :

سل القرامط من شظى جماجمهم
فلقا وغادرهم بعد العلا خدما
من بعد ان جل بالبحرين شأنهم
وأرجفوا الشام بالغارات والحرما
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها
أرض العراق وتغشى تارة أدما
وحرقوا عبد قيس في منازلها
وصيروا الغر من ساداتها حمما
وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكو
شهر الصيام ونصوا منهم صنما
وما بنوا مسجدا لله نعرفه
بل كل ما أدركوه قائما هدما[٦٤]

ثم يواصل حديثه عن دور قومه في حربهم ، والقبائل التي آزرت القرامطة ، كالأزد ، وعامر خاصة . وهذه الاشارة بشرحها الموجز حينا ، والمفصل حينا آخر ، في أكثر من مخطوطة ، وأكثر من مطبوعة للديوان ، واستناد عدد من

الباحثين والمؤرخين المعاصرين اليها في التأريخ لنهاية القرامطة ، وقيام الدولة العيونية ، يجعلنا نقف حائرين في كيفية التوفيق بين ما قاله المتقدمون حول تلك النهاية ، وتحديدها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وبين ما جاء في شرح بعض مخطوطات[٦٥] الديوان وتحديد تلك النهاية بعام ٤٦٩ هـ .[٦٦]
ولعله من المعقول ، والأقرب الى فهم الحقيقة أن نتصور نهايتين للقرامطة ، احداهما نهاية سياسية وكانت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وتمثلت في انحسار موجاتهم ، وتقوقعهم في البحرين ، والخطبة للخليفة العباسي . والأخرى مذهبية وكانت على يد العيونيين في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . وقد حرص العيونيون على استئصال بقايا بدعهم أثناء حكمهم ، والى مثل هذا يشير ابن المقرب في ميمته المشهورة :

منا الذي أبطل «الماشوش»[٦٧]» فانقطعت
آثاره وانمحى في الناس وانطمسا[٦٨]

يرجع نسب العيونيين الى قبيلة عبدالقيس ، والتي ينتهي نسبها الى ربيعة ، التي تنحدر من العرب العدنانية . وقد عاشت قبيلة ربيعة في الجاهلية في منطقة تهامة ،[٦٩] على ساحل البحر الأحمر من غربي الجزيرة العربية ، وحين وقعت الحرب بين بطونها ، أدى ذلك الى تفرقها ، وارتحال بعضها الى أماكن أخرى ، فاتجهت عبدالقيس يقودها عمرو بن الجعيد بن الدؤل بن شن بن أفص بن عبدالقيس صوب الشرق من الجزيرة العربية ،[٧٠] واستقرت على أرض البحرين بعد أن أرسلت روادها الذين أجمعوا على اختيار المنطقة ، وكانت تعيش على أرض البحرين يومها قبائل اياد ، والأزد ، وتميم ، وبكر بن وائل .[٧١] فاقتتلت عبدالقيس مع تلك القبائل ، وانتصرت عليها ، وأجلت بعضها عن البلاد ، واقتسمت الأرض ، واختلطت بالسكان .[٧٢]

وذكر في الأنساب أنه قد ولد لعبدالقيس أفص ولبؤ ،[٧٣] واللبؤ حي عظيم ، رحل قسم منهم وسكن مدينة توج في بلاد فارس .[٧٤] أما أفص فكان منه ولدان شن ولكيز ، وهما بطنان عظيمان في عبدالقيس ،[٧٥] فكانت لشن سيطرة وسطوة ، ومنهم الأفكل ـ عمرو بن الجعيد ـ سيد عبدالقيس في الجاهلية وقائد جموعها من تهامة الى البحرين ، وشن هي التي أطبقت على قبيلة اياد ، وأجبرتها على الرحيل من البحرين الى العراق[٧٦] واستقرت في أماكنها شمالي البحرين .

أما «لكيز» فهي قبيلة كبيرة انحدرت منها بطون : وديعة ، وصباح ، ونكرة[٧٧] ومن قبيلة نكرة لمع نجم أكثر من شاعر ، كالمثقب ، والممزق ، والمفضل ، وكانت منازلها قرب مدينة القطيف حاضرة عبدالقيس في القديم .[٧٨] وكلا القبيلتين ـ شن ولكيز ـ «قد شغلتا الناس بما كان لهما من تراث شعري ضخم ، ومجد حربي كبير » .[٧٩]

ولكن الى أي قبيلة من عبدالقيس يرجع نسب العيونيين ؟ «فالمصادر التي بين أيدينا لا تسعفنا في تحديد تلك الصلة ، حتى في مخطوطات الديوان المشروحة لا نجد سلسلة الأبوة لمؤسس الدولة العيونية عبدالله بن علي بن

عبدالله بن ابراهيم العبقسي :

فمن عيص ابراهيم تنمي فروعها
ومن بحر عبدالله يجري عبابها[٨٠]

وكان الرجوع الى ديوان ابن المقرب خير سبيل للكشف عن تلك الصلة ، فمن قصيدة لابن المقرب يمدح فيها الأمير الحاكم للاحساء ، محمد بن ماجد بن عبدالله بن علي العيوني يبدو منها جليا أن «آل ابراهيم» ينحدرون من قبيلة ربيعة :

ولو سئلت يوما ربيعة من بهم
لها خضعت وارتجت الشرق والغرب
ومن خيرها طرا قديما وسالفا
وأنجبها عقبا اذا أخلف العقب
لأخبر أهل العلم أن ربيعة
رحى «آل ابراهيم» في سرها القطب[٨١]

ثم نجد ابن المقرب ـ في موقف آخر ـ يجلو هذه الصلة أكثر ، فيقول من قصيدة له يشكو فيها حقه المضيع :

فإن ضيعت حقي لكيز وأنكرت
بنو عامر[٨٢] سعيي لها واجتهاديا
فقد ضيعت قبلي رباب بنيها
وما كنت أدري لابن أفص[٨٣] مساويا[٨٤]

ويقول في موضع آخر مخاطبا قومه ، منكرا عليهم تخاذلهم :

أعيذ كم أن تقبلوا ذا وأنتم
ذؤابه افص كلها وسنامها[٨٥]

ويقول في موضع آخر مخاطبا قومه :

أما حان يا فرعى ربيعة أن ارى
بنات الوغى يعلو الروابي قتامها[٨٦]

وتزداد تلك الصلة جلاء ووضوحا عند ابن المقرب ، في قصيدة ، نظمها حين كان بالعراق ، بعيدا عن وطنه « الاحساء » ، يكابد مرارة الغربة :

فياراكبا وجناء تستغرق البرى
ويطوى الفيافي خطوها وانجذابها
اقم صدرها قصد الى الخط[٨٧] واحتقب
رسالة ود أنت عندى كتابها
فحين ترى الحصن المعلى مقابلا
ويبدو من الدرب الشمالى بابها
فلج بسلام آمنا تلق بلدة
مقدسة الاكناف رحبا جنابها
بها كل قرم من ربيعة ينتمى
الى ذروه تعلو الرواسى هضابها
لكيزيه[٨٨] انسابها عامرية
يلوذ المناوى ضيمها واعتصابها
اذا ثوب الداعى بها : يال عامر
اتت مثل اسد الغاب غلب رقابها
مقدمها من صلب عوف[٨٩] بن عامر
الى الموت فتيان شديد غلابها
من الحارثيين[٩٠] الاولى في اكفهم
بحار الندى مسجورة لاثغابها
وعن مالك[٩١] بنت الفخاربن عامر
فوارس ارواح الاعادى نهابها[٩٢]

وقد تعددت الاشارة[٩٣] في ديوان ابن المقرب الى انتساب قومه العيونيين الى قبيلة عبدالقيس . وحسبنا منها قوله في مدح الامير العيونى ابن الفضل بن أحمد بن عبدالله بن على ، حين ملك القطيف :

ينمى الى الشم الغطارف والذرى
من حارث والسادة الحكام
ولحارث عرفت رئاسة عامر
في جاهليتها وفي الاسلام[٩٤]

فالعيونيون ـ كما يتضح جليا من شعر ابن المقرب ـ ينتمون الى أحد بطون عامر بن الحارث بن انمار بن وديعة بن لكيز بن أفص بن عبدالقيس بن أفص بن

دعمى بن جديلة بن ربيعة بن نزاربن معد بن عدنان . ولكن ديوان الشاعر لم يسعفنا في تحديد ذلك البطن من عامر الذي ينتمى اليه العيونيون والاقرب الى الظن أن هذا البطن هم « آل ابراهيم » الذين أشار اليهم . وسموا بالعيونيين نسبة الى موضع بالبحرين يقال له « العيون » ، يقع فى أقصى شمال الاحساء على بعد عشرين ميلا شمالى مدينة الهفوف[٩٥] الحالية .

سبق أن أشرنا الى أن الربع الاخير من القرن الرابع الهجرى ، قد شهد نهاية المد القرمطى ، وتوقف حملاتهم الحربية وتقوقعهم فى البحرين . وفى النصف الأول من القرن الخامس أخذت أحوالهم فى التردى ، وتمكن أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج ـ وهو من قبيلة عبدالقيس صاحبة السلطة السابقة فى البحرين ـ من اقناع ابن أرحم ناظر القرامطة في أوال ، ان يتدخل لاقناع القرامطة بالسماح لهم ببناء جامع سنى في « أوال » من البحرين تقام فيه صلاة الجمعة ، بهدف تشجيع التجار السنيين على زيارة الجزيرة ، وكان لهم ما أرادوا مقابل مبلغ من المال ، وعند ما تم بناء الجامع عام ٤٥٠هـ ، نهض خطيب الجمعة الوليد أخو أبى البهلول، وخطب باسم الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، فغضب المتعصبون للقرامطة من تصرفه ، ولكنهم لم يفلحوا فى منعه .[٩٦] و قوى بعد ذلك نفوذ السنة فى أوال وازداد عدد التجاربها ، مما شجع أبا البهلول على طرد الناظر القرمطى من أوال وتسميته نفسه بالامير . وقد حاول القرامطة استعادة نفوذهم عليها ، والتخلص من أبى البهلول ، فسيروا اليه حملات متلاحقة ، ولكنهم لم يفلحوا في ذلك ، بل هلك كثير من قبيلة عامر ربيعة من عقيل ـ ممن كانت تعتمد عليهم فى حربه ـ[٩٧] فى موقعة كسكوس أوال البحرية[٩٨] .

وكانت قبائل اليمن في الاحساء قد شركت القرامطة فى تدبير أمورهم منذ عام ٤٥٩هـ وتسمى بعضهم بالأمير ،[٩٩]وليس من شك في أن هذه الاحداث كانت بمثابة مؤشرات واضحة ودالة على بداية النهاية للقرامطة ، اذ بدأوا يفقدون نفوذهم على أجزاء من دولتهم وأصبحوا عاجزين عن تأديب الخارجين عليهم ، والطامعين فى سلطتهم من الداخل ، مما حدا بيحيى بن عياش الى الظهور على مسرح الصراع فى البحرين ، يبغى الانفراد بجزء من التركة القرمطية ، أو بها كلها ، فيتصدى لحرب القرامطة فى القطيف ، ويهزمهم ، ويجليهم عنها ، ثم يعلن استقلاله بها ، وتتطلع نفسه بعد ذلك الى بسط سيادته على جزيرة أوال ، ويتم له ما أراد ، منهيا امارة ابى البهلول عليها .[١٠٠]

وحين حقق ابن عياش هذه الانتصارات المتلاحقة على القرامطة فى القطيف ، وعلى أبى البهلول فى جزيرة أوال ، شجع هذا الصراع شخصية جديدة على الظهور في البحرين فنهض عبدالله بن على العيونى لقتال القرامطة في الاحساء عام ٤٦٢هـ وانتصر عليهم ، فتحصنوا فى الاحساء ..[١٠١] ويبدو أن ظهور العيونيين بزعامة عبدالله بن على فى الاحساء ، كان ثأرا لأبي البهلول من ابن عياش الذي قضى عليه وأخضع أوال لسلطانه وضمها الى القطيف ، واستكمالا لدوره فى حرب القرامطة

والقضاء على مابقى لهم من نفوذ ، وذلك لأن العيونيين شركوا أبا البهلول ثورته على القرامطة ، وحربه لهم ، وقاد بشر بن مفلح العيونى جيش أبى البهلول الذي هزم جموع القرامطة وأنصارهم فى موقعة كسكوس أوال[١٠٢] .

ولم يكن فى مقدور عبدالله العيونى حقيقة أن ينهض بمفرده بهذا الدور الخطير فى قتال القرامطة ، والحد من أطماع ابن عياش ، الذى أخذ يطمع فى بسط سيطرته على الاحساء ، فقد كان أعوان العيونى قلة لا يربو عددهم على اربعمائة مقاتل :

وجمعنا في مئين اربع قصرت
عدا ، لكنها أعلى الورى قدما[١٠٣]

ولكنه ـ على ما يبدو ـ كان يتمتع بقدر من الدهاء والحنكة ، فبعد ان ابدى صدق النية فى قتال القرامطة ، وشرع يقاتلهم طامعا فى الأحساء ، منذ عام ٤٦٢ هـ [١٠٤] . وحقق بعض الانتصارات ، طلب المعونة من الخليفة العباسى عام ٤٦٧هـ [١٠٥] فكتب الى جلال الدولة أبى الفتح ملكشاه السلطان السلجوقى ، والخليفة يومئذ ابو جعفر القائم بأمر الله (ت ٤٦٧هـ) . والوزير نظام الملك (ت ٤٨٥ هـ)، وشرح له أحوال القرامطة وضعفهم ، وأنه يريد أخذ الاحساء منهم ، واقامة الدعوة للدولة الجلالية العباسية فى الاحساء ، ويميت سنن القرامطة .[١٠٦] وهنا تجدر الاشارة الى أن أبا البهلول قد سبق له مثل هذا الطلب من الخليفة العباسى[١٠٧] ولكن ابن عياش لم يمهله ، وعاجله بالقضاء عليه قبل أن يحصل على موافقة الخلافة بمده بالمعونة اللازمة لقتال القرامطة ، وهذا مما أثار غضب الخلافة على ابن عياش ، لأنه قضى على شخصية موالية لها في أوال من البحرين ، لذا فحين أجاب الخليفة طلب الأمير العيونى عام ٤٦٨هـ [١٠٨] ، وبعث اليه بسبعة آلاف مقاتل بقيادة اكسك سلار ، متجها من البصرة الى الاحساء ، كان الهدف الاول لهذا الجيش تأديب ابن عياش فى القطيف ، الذي هرب معتصما بجزيرة أوال ، ثم انضم اكسك سلار الى الامير العيونى وحاصرا القرامطة في الاحساء ، حتى أشرفوا على الهلاك ولكن جند الخليفة لم يحتملوا مدة الحصار الطويلة ، فعاد اكسك سلار الى الخليفة ، ثم طلب منه العودة لاستئصال القرامطة ، وكان له ما أراد ، وحين عاد الى الاحساء وجد عبدالله العيونى انتهى من حصارهم ، ، وانهاء أمرهم ، وتم له ذلك عام ٤٦٩هـ [١٠٩] على الرغم من استنجادهم بقبائل عامر :

فاستنجدت عامراً من بأسها فأتت
مغذة لا ترى فى سيرها يتما[١١٠]

وسارع ابن عياش لا نتزاع الاحساء من العيونيين ، قبل أن يستفحل أمرهم ، ويتهدد وجوده فى المنطقة ، فحشد جموعه ، وساربها نحوها ، فبرز له العيونيون ، ودارت بينهم معركة شرسة ، في مكان يعرف « بجوناظرة » أسفرت عن هزيمة ابن عياش و تقهقره الى القطيف (قصبة حكمه) ، ومن ثم الى أوال فتبعه العيونيون الى جزيرة أوال ، حيث احتل عبدالله العيونى القطيف ، ووجه ابنه « الفضل » إثر جموع ابن عياش فى أوال واستطاع ان يحقق نصرا حاسما ، تخلى إثره ابن

عياش عن أوال «وقتل نفسه»[١١١] ، بعد ان فقد وزيره ، وقائده ، وساعده الايمن « العكروت »[١١٢] والى هذا يشير ابن المقرب بقوله :

ولم ينـج ابن عيـاش بمهجتـه
يم اذا مـا يراه النـاظر ارتسمـا
اتى مغـيرا فـواق جـو نـاظـرة
فعـاين الموت منـا دون مـازعمـا
فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى
حبل السلامة الا السوط والقدما
فانصاع نحو أوال يبتغي عصما
اذ لم يجد في نواحى الخط معتصما
فـاقحم البحـر منـا خلفـه ملـك
مـازال مذ كـان للاهـوال مقتحما
فحاز ملك أوال بعد ما تـرك الـ
عكروت بالسيف للبـوغاء ملتـزما
فصار ملك ابن عياش وملك ابى الـ
بهلول مع ملكنـا عقدا لنـا نظما

ويسجل ابن المقرب ـ في موضع آخر ـ هذه المسيرة الظافرة لقومه من الاحسـاء[١١٣] فـالقطيف ، فـأوال ، فيقول :

فعن هجـر ذادوا القرامط عنـوة
وقد شركت فيها عتيك وحدان[١١٤]
وساروا الى ارض القطيف فلم يكن
ليمنعهـا منهم حصـون وحيطـان
ولم تمتنـع منهم أوال بمـزبـد
من اليم تزجيه شمال ومرخان[١١٥]

ولم يكد عبداللـه العيوبى يلتقط أنفاسه ، حتى ظهر خطر بنى عامر ممن انحازوا الى القرامطة ضده ، وقد قطع ما كان لرؤسائهم من العوائد والجرايات أيام القرامطة ، فجاءوا مطالبين بتلك العوائد ، وأجمعوا على حربه ولكنه استطاع هزيمتهم وتبديدهم ، ولم ينج منهم الا رئيسهم احمد بن مسعَر ، وأبو فراس بن الشباش ، في جماعة قليلة هربوا الى العراق[١١٦] والى هذا يشير ابن المقرب في ميميته المشهورة :

وطـالبتنـا بنـو الاعمام عـادتنـا
فلم تجد بكما فينا ولا صمما[١١٧]

وكانت قبيلة الازد تؤازر بنى عامر فى حربهم لعبدالله العيونى :

فـأقبلت ورجـال الازد تقـدمهـا
كالأسد قد جعلت سمر القنا اجما[١١٨]

ثم يسجل ابن المقرب وصفا لتلك الجولة الحاسمة ، وما أسفرت عنه :

ثم انتحينـا لعوف بعـدما ورمت
أنـوفهـا ففششنـا ذلـك الـورمـا
دسنـاهم دوسـة مـريـة جمعت
أسلاهم وضباع الجـو والرخمـا
لم ينج غير رئيس القـوم تحمله
خيفـانة كظليم ريـع تحت سمـا
ثم انثنينـا بجرد الخيـل نجنبها
نقائذا وأفأنا السبى والنعما[١١٩]

ولم يكد ينتهى العيونيون من حسم أمر القرامطة ، ومن حالفهم ، حتى جاء ركن الدين والدولة السلجوقى يبغى الثأر «للبغوش» أخى اكسك سلار :

والشرسكيـة اذ جـاءت تطـالبنـا
دم البغوش وفينا تقسم القسما[١٢٠]

وكان البغوش قد طمع فى الاحساء بعد معونة أخيه للعيونيين ، فقتله عبدالله العيونى . وقد تمكن العيونيون من صد أولئك الموتورين الطامعين ، والى هدا يشير ابن المقرب بقوله :

ونحن حمينـاه الاعـاجم بعـدمـا
أقـامت تروم الملـك حولا محـرما
ضربنـا وجـوه الشرسكيـه دونـه
وأقفـاءهـا بـالسيف حتى تثلمـا

وقد غررتهم من نزار ويعرب
لشنانكم قوم وقوم تبرما
فعدنا ببيض ذكرتهم حدودها
بما كان من أخبار كسرى ورستما
فولوا وراح الركن منهم كأنه
صريع عقار بات منها مجشما(١٢١)

وكان عليه أن يواجه بعض الطامحين في بسط سيادتهم على الاحساء كالحسن بن يحيى الذي كانت له السيادة على منطقة القطيف ابان تأسيس دولتهم. وقد حاول استقطاب بعض الأمراء العيونيين، ببذل المال والذهب والبساتين لهم، وكان ذابأس وقوة، وقد سير اليهم جيشه مرارا للاغارة على الاحساء، ولكن محاولاته لم تؤت ثمارها المرجوة وفي هذا يقول ابن المقرب:

وحول ابن يحيى لم تصاهل جيادنا
وقد كان بحرا ذا عباب قلهذما
اذال لنا الاموال دراً وعسجدا
وتبرا ونخلا يانعا ومكمما
فعفنا سنيات العطايا حمية
عليكم ودسنا الشر حتى تشرما
وحتى ملكتم ملكه واقتصرتم
مقاصيره اللاتي بناها فأحكما
وقد كان يزجي كل يوم كتيبة
اليكم وجيشا ذا زهاء عرمرما
وقاد اليه الناس بأس ورغبة
وعز ينامي يذبلا ويلملما(١٢٢)

ومثل ابن يحيى « حماد النائلي »، وهو من بني نائل الذي اجتمعت حوله أحلاف عرب الاحساء، وتصدى لفتنته هذه أمير القطيف أبو مقدم شكر بن علي بن عبدالله بن علي العيوني، فهزمه، وقتل قائد جموعه السبيع بن غفيلة أحد رجالات النائلي، وأطلق على المكان « الخائس » لكثرة من قتل من جماعة النائلي:

منا الذي عام حرب النائلي جلا
يوم السبيع ويوم الخائس الغمما(١٢٣)

كما كان عليه أيضا أن يواجه أعداء المنطقة التقليديين من العجم الطامعين، غير من ذكرناهم من (الشركسيين) السلاجقة، كالقاروني احد ملوك العجم ببلاد قارون:

وسل بقارون هل فازت كتائبه
لما أتتنا وهل كنا لهم غنما(١٢٤)

ولقد حرص مؤسس الدولة العيونية عبدالله بن علي العيوني، منذ بدء حربه للقرامطة وصراعه مع منافسيه على أن يقيم جسرا متينا من العلاقات الطيبة مع الخلافة العباسية فقد رحب الخليفة القائم بأمر الله بعرضه، حين طلب المعونة العسكرية للقضاء على القرامطة، ولا يخفى على أحد ما عانته الخلافة العباسية من غارات القرامطة على جميع أطرافها، حتى بغداد لم تسلم من أذاهم.

وهكذا شهد النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، نهاية الدولة القرمطية، واماتة سننها، وبقايا بدعها، وتصفية أعوانها في المنطقة، وشهد قيام دولة فتية جديدة، امتد نفوذها من البصرة الى عمان. وكان العيونيون قد توزعوا نفوذهم بعد وفاة مؤسس دولتهم، فاستقل آل علي بن عبدالله بحكم الاحساء ونواحيه بينما اقتصر حكم آل الفضل بن عبدالله على القطيف ونواحيه، وادى هذا الى نشوء نوع من الصراع بين الفرعين القويين

للاسرة العيونية : ثم تمكن الفضليون من بسط نفوذهم على سائر البحرين ، ولكن الصراع بقى مستمرا ،[١٢٥] وكان على الفروع العيونية الأخرى أن تحدد ميلها وولاءها ، وعلى أساس من هذا الولاء وذلك الميل كانت تلقى احترامها ، وأضطهادها ، كما حدث لشاعرنا ابن المقرب ، الذي دفع ثمن ميله للفضليين غاليا من الفرع الاخر المناوىء لهم .

وقد تعاور الامارة العيونية ، منذ قيام دولتهم ، وحتى سقوطها فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى ، ما يقارب العشرين أميرا .[١٢٦] وبلغت على يد الرعيل الاول منهم حدا من المهابة وسعة النفوذ ، والى هذا يشيرابن المقرب فى مدحه للامير الحاكم أبى شكر مقدم بن ماجد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبدالله العيونى :

بنى المعالى لهم فضل وشيدها
أبو سنان[١٢٧] قريع العجم والعرب
وأحمد[١٢٨] أبنه الملك الذي منعت
ما بين نزوى[١٢٩] سراياه الى حلب[١٣٠]

وبعد الامير محمد بن أحمد أبى الحسين بن محمد أبى سنان بن الفضل بن عبدالله العيونى (٥٨٤ ـ ٦٠٣ هـ) اهم امراء الاسرة العيونية وآخر النخبة الممتازة من حكامهم وقد عاصره شاعرنا ، ومدحه ، وسجل مآثره . وحربه لخصومه ، ورثاه عند موته .

وقد استفحل ملك العيونيين فى زمن هذا الامير ، وامتد نفوذهم الى نجد ، وبادية الشام ، وجعل له الخليفة العباسى الناصر لدين الله خفارة الحاج اذا خرج من بغداد ، حتى يصل الى مكة ، ويرجع منها ، وقرر له فى كل سنة ألفا وخمسمائة حمل من البر ، وألفا ومائتى ثوب من عمل مصر ،[١٣١] والى هذه العلاقة الطيبة يشير ابن المقرب بقوله :

ومال أمير المؤمنين بوده
اليه وسماه زعيم الاعارب
حمى البر من حد العراق فحازه
الى الشام واستولى على حد ناعب[١٣٢]

وقد تمكن من تأديب الكثيرين من خصوم دولته ، كبنى عامر حين تحالفوا على حربه عام ٦٠٢هـ [١٣٣] ، ويخاطبهم ابن المقرب مهددا محذرا :

وأقسم إن نبهتم الحرب ساعة
وضمكم نحو الامير مغار
لتصطبحن كأسا عليكم مريرة
يطول لكم سكر بها وخمار
بها شربت من قبل عوف بن عامر
غداة دعتها نزقة ونفار
بكف أبيه لا بكف أبيكم
فراحت وفيها . ذلة وصغار[١٣٤]

ثم يتوجه اليهم ناصحا بالخضوع لأمره :

فما الرأى الا أن تذلوا لحكمه
فليس عليكم فى المذلة عار
وتمسوا كما كنتم جميعاً رعاة
عسى أن تنالوا نصفة وتجاروا[١٣٥]

وقد واجه فى عهده أطماع البدو ، كبنى مالك ، الذين خرجوا على طاعته ، وجاءوا لحربه ، ولقيهم على « ماء الدجانى » ، في الجانب الغربي من الدهناء ، فلقنهم درسا قاسيا ، قتلا ، وسبيا وقتل الكثير منهم جوعا ، وعطشا ، وقد وصف ابن المقرب هذه الوقعة فى لاميته وصفا دقيقا :

كأنكم لم تعرفوا سطواته
اذا الحرب فارت من لظاها مراجل

سلوا تخبروا من غير جهل لفعله
بنى مالك فالحر بالحق قائل
ألم يجلب الجرد العتاق شوازبا
من الخط تتلوها المطايا المراسل
الى أن أناخت بالدجانى بعدما
براها السرى والاين فهى نواحل
فأصبحن حيا لم تصبح حلاله
قديما ولا رامت لقاه الجحافل
فكم قرم قوم غادرته مجد لا
تقط شواه الخامعات العواسل
وكم مال نحام من القوم أصبحت
تقسم غصبا جله والعقائل[١٣٦]

ثم يواصل حديثه عن هزيمته لهم بقية القصيدة :

كما يصف لنا ابن المقرب وقعة أخرى لهذا الامير مع قبائل عنين ، وطىء ، وزيد ،. وعرب الشام ، وكانوا قد انحدروا صائلين على قبائل قيس ، فاهمها ذلك ، واستغاثت بالأمير العيونى ، فلم يخيب رجاءهم ، وحمل عليهم ، ومزقهم شر ممزق :

وكان لهم بالحزم يوم عصبصب
وقد حشدت للحرب تلك القبائل
عنين وآل الفضل من آل برمك
وكلهم للعز أنف وكاهل
وجاءت زبيد كالجراد وطيىء
وكل يمنى نفسه ما يحاول[١٣٧]

ثم يقول :

فضاقت على أحياء قيس رحابها
من الخوف وانسدت عليها المناهل[١٣٨]

ثم يتحدث عن دور آل الفضل من العيونيين فى صد هذه الهجمة ، الى أن يقول :

وأقبل ليث الغاب أعنى محمداً
يفتش عن أشباله ويسائل
فقيل له تحت العجاجة دأبهم
طعان العدى فى حيث تخفى المقاتل
فأوردهم صدر الحصان كأنه
بأخذ نفوس القوم بالسيف كافل
فطاروا سلالا من أسير وهارب
ومن هالك تبكى عليه الثواكل[١٣٩]

ويشير ابن المقرب فى نونيته ، الى الحملات التى قادها هذا الأمير ، والجهد الذي تحمله فى المحافظة على تماسك دولتهم ، والاعداء الذين هزمهم ، ممن كانوا يطمعون فى دولتهم ـ غير من سبق ذكرهم ـ كأهل القطيف ، وبنى سليمان ، وبنى لبيد ، وأهل عمان ، وعدوان ، فيقول :

لما أتت أهل القطيف بجحفل
متوقد كتوقد النيران
فى آل حجاف وآل شبانه
مثل الاسود بحافتى خفان
وتسربلوا حلق الحديد وأقبلوا
بالخيل والرايات كالعقبان
فرى الامير جموعهم فتمزقت
كالشاء اذ جفلت من السرحان
وتحكمت فيهم حدود سيوفه
ضربا فويق معاقد التيجان[١٤٠]

ثم يشير الى حملات أخرى قادها بغية تأديب من حدثتهم أنفسهم بالخروج على طاعته :

وهو الذي قاد الجياد عوابساً
تحت العجاج الى بنى سلمان
وبنى لبيد كلها فاجتاحها
بدراك غارات وحسن طعان
وأتت اليه بالخراج مطيعة
خوفاً من الغارات أهل عمان
وتزعزعت رهبا فجاءت تبتغى
منه الذمام الشم من عدوان[١٤١]

وقد سار هذا الامير على سياسة من

سبقه من حكام دولتهم ، في الولاء للخلافة العباسية ، وقد سبقت الاشارة الى تكليف الخليفة له بحماية قوافل الحج ، كما ساعد الخلافة فى الضرب على أيدى بعض العصاة والخارجين من عرب البادية ، أمثال قوم دهمش بن سند بن أجود ، فقد شكاه الحاج الى الخليفة الناصر لدين الله ، الذي بعث بدوره رسولا الى الأمير محمد بن أبى الحسين يخبره بذلك ، ويحثه على النهوض اليه وقومه والتنكيل بهم ، فكان له ما أراد ، اذ لقيهم بظاهر الكوفة وهزمهم ، ونكل بهم ، ولجأ زعيمهم الى مشهد الامام على - كرم الله وجهه - وأقام به مستجيرا ، حتى جاء رجال الخليفة ، وقبضوا عليه ، واستاقوه الى بغداد .(١٤٢) والى هذا يشير ابن المقرب فى ميميته المشهورة :

منا الذي ضربت حمر القباب له
بالمشهدين وأعطى الأمن وانتقما
لولا عياذ بنى الجراح منه به
لصاحبت دهمشا او الحقت درما(١٤٣)

وترسم ابنه الامير الفضل بن محمد بن أبى الحسين - من بعده - سياسته فى الابقاء على صلاتهم الطيبة مع الخلافة العباسية ، متحملا المهام التى نهض بها والده بتكليف منها ، نظير مساعدات عسكرية ، كانت الخلافة فى بغداد - على ما يبدو - قد التزمت بها للأمراء العيونيين ، لينهضوا بما تكلفهم به من مهام . والى هذا يشير ابن المقرب فى مدحه للأمير الفضل بن محمد بى أبى الحسين :

رضى الخليفة هديه واختاره
وحباه بالحظ الجزيل الأوفر
لباه جهرا واصطفاه له فتى
من بين أبناء النبيت وقيذر
وأمده بخزائن لو صبحت
ذات العماد لآذنت بتدعثر
فيها المجانيق العظام يحفها
نفط تأجج ناره بتسعر
وقسى أسد لا ترد نصالها
زبر الحديد ولا صفيح المرمر
وقضى اليه أن حكمك نافذ
ماض بأكناف العراق وتستر(١٤٤)
فاضمم اليك الجيش وانهض وافتتح
ماشئت من بلد وجد وشمر(١٤٥)

والمعروف ان شاعرنا قد سفر يوما لدولته ، لدى بلاط الخليفة الناصر لدين الله عام ٦٠٦هـ ، الخزائن من بغداد الخزائن التى أمد بها الناصر الفضل بن محمد بن أبى الحسين بعد مقتل والده .(١٤٦) .

ولكن الملاحظ ان شعره فى الفترة الأخيرة ، التى شهدت ضعف حكامهم ، وصراعهم على السلطة ، وتوثبهم ببعض ، قد خلا من مثل هذه الاشارات ، الى تلك العلاقات الطيبة الوطيدة ، بين خلفاء بنى العباس وحكام الاحساء ، ولعل هذا يعود لأمرين :

أولهما : أن الحكام العيونيين قد أصبحوا عاجزين عن أداء خدماتهم للخلافة .

وثانيهما : أن الخلافة نفسها كانت تعانى مرض الشيخوخة ، وقد أوشكت نهايتها ، فلم تعد قادرة على الاستمرار في مثل هذه العلاقات ، التى تكلفها ماليس في وسعها .

وعلى الرغم مما بذله الامير محمد بن أبى الحسين من جهود ، الا أنه قد قتل غيلة ،(١٤٧) ، بمؤامرة حاكها رجال من

أسرته ومن بنى عامر . وقد رثاه ابن المقرب رثاء يفيض أسى ولوعه ، وكأنه بحسه المرهف كان يعرف ما يعنيه موت هذا الامير ، وقد اتضح فعلا من ديوانه ، ان موته كان نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الدولة العيونية فقد بدأ الضعف يدب في كيانها من مناح مختلفة بعد ذلك .

يا سوء حظ بنى نزار بعده
وشقاء حاضرها وشؤم بداتها
رجفت لمهلكه البلاد وزلزلت
وغدا مناخ الذل في حجراتها
ان نبك مصرعه أسى فلقد بكت
جزعا عليه الجن من ستراتها
كانت به البحرين جنة مأرب
أيام بهجتها وطيب حياتها
حتى اذا ما النرب واري شخصه
أبدت يد الايام عن سوأتها(١٤٨)

وقد أثرت الوقوف عند هذه الشخصية العيونية القوية ، والتي بلغت دولتهم في عهده قمة أوجها ، وعرضت في هذه العجالة للجهود المضنية التي تجسمها في المحافظة على هيبة دولته ، لتحد من الأطماع التقليدية في سلطتهم ، وللحيلولة دون ظهور طامعين جدد .

فقد أردت من خلال هذا تقديم صورة لوضع هذه الدولة ، والتي - كما يبدو - قد حرمت الاستقرار والأمن ، حتى في عهود الأقوياء من رجالها ، وبالطبع كان لهذا الوضع المهتز ، القائم على التوجس ، والحذر ، والريبة ، أثره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعقلية .. وان كنا لا نستبعد أن تكون هذه الدولة قد نعمت بشيء من الرخاء في عهد أمرائها الأول ، ففي مطولة ابن المقرب «الميمية» عدة اشارات الى العطايا السخية لأولئك الأمراء .

ويرى الدكتور شوقي ضيف «أن هذه العطايا لتدل على الرخاء الذي نعمت به تلك الديار في عهد هؤلاء الأمراء (١٤٩) . ولكن ينبغي الحيطة من الأخذ بما جاء في شرح هذه الأبيات ، والانتخذها دليلا أكيدا على رخاء تلك الديار آنذاك . فقد أسهب الشارح في ايراد قصص الكرم العيوني ، وهي قصص لا تخلو من مبالغة ، مما يرجح الظن أن شارح الديوان الذي مازال مجهولا يمت بصله قوية الى البيت العيوني . وبالاضافة الى ذلك ، فليس معنى سخاء حاكم ما أن رعيته تعيش في بحبوحة من العيش ، بل كثيرا ما تكون مظاهر بذخ الحكام واسرافهم على حساب رخاء رعاياهم .

كما نجد في «ميمية» الشاعر اشارات يسيرة الى عطايا هؤلاء الأمراء لبعض الشعراء ، مما حدا بالدكتور شوقي ضيف أن يقول : «أن هذه العطايا للشعراء في عهد أولئك الأمراء ، لتدل على أنه كانت هناك نهضة أدبية ، رعوها خير رعاية»(١٥٠) .

يروي لنا شارح الديوان أن أمير القطيف أبا سنان محمد بن الفضل ، كان بحرا فياضا مثل أبيه الفضل ، وأن عامله على البحرين جاء اليه بمال

ولآلىء وجواهر كثيرة وتصادف أن كان في مجلسه شاعر عراقي يعرف بالثعلبي دبج فيه مدائح كثيرة فقال للعامل : ادفع المال اليه ، وكان فيه جوهرة بألف دينار ، فبهت العامل ، ومات على الأثر . وفي ذلك يقول ابن المقرب :

منا الذي من نداه مات عامله
غما واصبح في الاموات مخترما (١٥١)

كما يذكر الشارح أن أبافراس غرير بن محمد أبي سنان قد امتدحه يوما الثعلبي شاعر أبيه بقصيدة فطلب الى صاحب خزائنه أن يعطيه جميع مفاتيحها ، ويتنحى بعيدا ليأخذ منها مايريد ، فقال الثعلبي : في بعض ذلك غنى وسعه ، ويكفيني ألف دينار ، فأمر بأربعة آلاف له وفي ذلك يقول ابن المقرب :

منا الذي جاد إيثارا بما ملكت
كفاه لا يديجزيها ولا رحماً(١٥٢)

ويذكر الشارح أن أمير القطيف أبا الحسن بن عبدالله بن علي قد حضره ذات يوم أربعون شاعرا ، فأعطاهم أربعين فرسا مسرجا ملجما، وفي ذلك يقول ابن المقرب:

وجاد في بعض يوم وهو مرتفق
بأربعين جوادا تعلك اللجما(١٥٣)

وقد استوقفني طويلا أخبار الشارح تلك ، ولكن حذري منها حال دون أخذي بها وشجعني على ذلك أن الثعلبي شاعر مجهول تماما ، ولا يعني تردد شاعر مجهول على بلاطهم ان هناك نهضة أدبية ، وانهم رعوها خير رعاية . كما ان وفادة أربعين شاعرا ذات يوم على أمير ، أمر مبالغ فيه ، ولم نسمع به في عصور الازدهار ، الا فيما نعلم عن بلاط دار الخلافة وسيف الدولة وما أشبهه أو اذا كانوا من أولئك البدو ممن يتحلقون للسمر في بيوت الأمراء ، ويتناشدون الأشعار النبطية أو ما شابه ذلك ، ولا يعد وجودهم دليل نهضة أدبية ، كما أننا لم نسمع عن شاعر من تلك الدولة سوى ابن المقرب . وربما كانت هذه الأخبار اشارات الى خطوات على طريق نهضة أدبية ، لم تتح لها ظروف دولتهم المضطربة أن تنمو وتزدهر .

ومع مطلع القرن السابع الهجري ، كانت الدولة العيونية ، تشهد آخر عهود الأقوياء من حكامها ، بزعامة الأمير محمد بن أبي الحسين لها ، والذي كان من حسن طالعه ، تألق نجم شاعرنا أيامه ، فسجل لنا هذه الفترة من خلال مدحه له ، واعجابه ببطولاته وما أن طويت صفحة هذا الأمير ، حتى أطلت الفتنة برأسها ، وكان على الأمير الجديد الفضل بن محمد بن أبي الحسين أن يملا الفراغ الذي خلفه والده ، فسعى جاهدا للصمود في وجه التحديات والأخطار ، وكانت له مواقف مشرفة ، كتأديبه لبني عقيل المتآمرين على الدولة ، فقد دعوا أهل السيب (١٥٤) من عرب العراق ، وتحالفوا معهم

للقضاء على العيونيين ، ولكنهم هزموا شر هزيمة أمام الفضل ورجاله :

أشبهت والدك الهمام وانما
عرفت بنو الآساد من أصواتها
وحميت دار أبيك منك بهمة
الجود والأقدام من هاماتها
من بعد ماجمعت عقيل كيدها
بالرأي من عقالها وغواتها
ودعت بأهل السيب فابتدأت بها
من شط دجلتها وشط فراتها
تتلو المعلي حيث سار وانه
للفارس الولاج في غمراتها
فصبرت صبر الأكرمين ولم تخم
عن زحفها يوماً ولا غاراتها(١٥٥)

ثم يواصل وصفه لما أوقعه فيهم من خسائر ، الى أن يقول من القصيدة ذاتها :

تركت نساء السيب تبكي حسرة
لولاتها وتطيل من ويلاتها

ولكن الأمير الفضل لم يستطع أن يواصل صمود وسلفه ، فقد اضطر عام ٦٠٦هـ الى توقيع صلح من ملك جزيرة قيس غياث الدين شاه بن تاج الدين جمشيد وتنص معاهدة الصلح هذه على تنازلات عيونية كبيرة .(١٥٦) وقد شعر ابن المقرب بهذا الضعف الذي بدأ يدب في كيان دولتهم ، فأخذ يحذر وينصح ، ولم يجد آذانا صاغية ، بل لقد قوبل بالاهانة والسجن والنفي :

أوليس جهلاً أن تسيم بمرتع
أكلت به المعزي لحوم رعاتها
أعربت حين دعوت الا أنه
لا يبلغ الأموات صوت دعاتها
فانهض وسل الهم عنك بجسرة
روحاتها تربي على غدواتها
وارغب بنفسك أن تقيم ببلدة
عصفورها يسطو بشهب بزاتها
إن يرض قومي الهون في فطالما
عمداً أهنت النفس في مرضاتها
كم قد غدوت ورحت غير مقصر
في لم فرقتها وجمع شتاتها(١٥٧)

الى أن يقول من القصيدة ذاتها :

ولرب لاح قال لي وجفونه
سكري الى الاماق من عبراتها
هون فقومك يا علي حياتها
كمماتها ومماتها كحياتها
لو كان فيهم من همام ماجد
لم تسق مر الضيم من راحاتها

ثم يتولى الأمير على بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين بن محمد بن الفضل الحكم بعد عمه الفضل ، فيعيد الى البحرين شيئاً من الاستقرار ، وينهض ببعض الاصلاحات :

لله درك يا على فلم يعد
الاك في هذا الزمان مهذب
أضحت بك الاحساء ساكنه وقد
رجفت بمن فيها وكادت تقلب
لو لم تداركها وترأب صدعها
لغدت بها خيل الهلاك توثب
أحييتها بعد الممات وبعدما
قامت بواكيها تنوح وتندب
ومنعتها من بعد ماكانت سدى
في كل ناحية تغار وتنهب
وملأتها عدلاً وكانت عممت
جوراً تغوربه الديار وتخرب
حتى كأنك والمشبه صادق
عمربها وكأنها لك يثرب(١٥٨)

ولم تمنع مهابتهم وسعة نفوذهم الطامعين في دولتهم ، من الاستمرار في محاولاتهم للسيطرة على أجزاء منها ، وخاصة جزيرة (أوال) ، التي كانت محطا لاطماع حكام جزيرة (قيس)[١٥٩] ، لأهمية موقعها ، وشهرة لآلئها ووفرتها ، فابن المقرب يشير في ميميته المشهورة ، الى الدور الذي نهض به الأمير الحاكم أبو على الحسن بن عبدالله بن علي العيوني في صد احدى حملاتهم عنها ، وكانت بقيادة ملكهم أبي كرزاز بن سعد بن قيصر ، وقد نزلت جموعه بشبه جزيرة «سترة»[١٦٠] في أوال ، فأرسل الأمير أبو علي أخاه أبا مقدم على رأس جيش من القطيف ، فعبر اليه ، وهزمه ، وقتل من جيشه ألفين وثمانمائه ، وأسر «نام سار» أخا الملك أبي كرزاز :[١٦١]

ويوم سترة منا كان صاحبه
لاقت به شامه[١٦٢] والحاشك الرقما
الفين غادر منهم مع ثمان مئى
صرعي فكم مرضع من بعدها يتما[١٦٣]

ولكن بعد مقتل الأمير محمد بن أبي الحسين ـ جد الأمير على بن ماجد ـ غيلة أخذ الصراع العيوني يشتد ، وتنافسهم على السلطة يزداد ، ويتخذ شكلا دموياً .

وإلى هذا يشير ابن المقرب متحسرا :

رزئت ملوكا لو بكيت لفقدهم
دما ما كفانى عمر نوح ولقمان
بهم كنت أرمى من رمانى وأتقى
بهم نائبات الدهر من حيث تلقانى

بأسيافهم ذاقوا الردى وتجرعوا
حسا الموت لا أسياف قيس وغيلان
[١٦٤]

وقد أعطى هذا الصراع المتفاقم الضوء الأخضر لاعدائهم المتآمرين من زعماء عبد القيس بأن يتغلغلوا ويتدخلوا لا في شئون الدولة فحسب ، بل في تعيين الحكام وعزلهم . فهاهم جماعة من رؤساء عبدالقيس يثورون على الأمير علي بن ماجد ، ويخرجونه من البلاد ، ويبايعون الأمير مقدم بن غرير بن الحسن بن شكر بن علي [١٦٥] ، وكان مقدم هذا قد نشأ نشأة بدوية ، فلم تكن له دراية بشئون الحكم والسياسة ، فتكالب الطامعون على الدولة ، وفقدت الامارة العيونية هيبتها ، وضعفت وساء تدبيرها ، وصارت العامة تقدم من تريد من السلاطين ، واذا ما ملك أحدهم ، أخرج جميع أهل الفضل والشرف من البلاد ، وخوت خزائن الحكام ، ولم يعد في مقدورهم ان يجندوا الجند ، فاجترأت الرعية ، وصار كل يريد الملك على يديه ، وجعلوا همهم تصفية رجال الأسرة الحاكمة ، [١٦٦]والى هذا يشير ابن المقرب بقوله :

ومالى أرى السادات إما مشردا
بأرض الأعادى أو مقيما مكبلا [١٦٧]

وقد أطاعهم مقدم لجهله بمكرهم وخداعهم ، فقبض على عدة رجال منهم ، وألقاهم في السجن ، ونهب ما في خزائنهم ، فجاءه ابن المقرب ، وقبح عليه فعلته ، ولكنه ادعى الجهل فيما حدث ، وأسنده الى أحد زعماء الاحساء أبى على ابراهيم بن عبدالله بن عزيز بن إبراهيم أبى جروان . [١٦٨] وهنا ينتفض ابن المقرب ، هاجيا رجال

عبدالقيس ، مقبحا استسلامهم لكيد عدوهم ، وصراعهم وتنافسهم :

أرجال عبدالقيس كم أدعوكم
في كل حين للعلا وأوان
فتراكم موتى فاسكت أم ترى
خلقت رءوسكم بلا آذان
كم ذا تسامون الهوان وانتم
خضع الرقاب تطامن الخصيان
ثكلتكم الاعداء ثكلا عاجلاً
ياغصة الاخوان والجيران
القوم تأكلكم ويأكل بعضكم
بعضاً كأنكم من الحيتان [١٦٩]

ثم يشير الى ازدياد نفوذ البدو ، ومحاولة الحكام كسبهم بالأموال والبساتين .

لم يغضب البدوى الا قلتم
سدوه كى يرضى بمال فلان
والسد أخرب مأربا فتيقنوا
بعد انفتاح السد بالطوفان [١٧٠]

وتتكرر هذه الاشارة في قصيدة أخرى ، في محاولاتهم لكسب عدوهم ، ولكنها هذه المرة تقطر مرارة وألما ، لتيقن شاعرنا بالنتائج العكسية والسلبية لهذه السياسة ، التى تنم عن ضعفهم ، وسوء أحوالهم ، وجهل حكامهم :

ومن أعجب الأشياء والدهر كله
عجائب يأتى فذها وتوامها
اذا نحن زدنا في عطايا قبيلة
لكف أذاها زاد منا انتقامها
هي النار ان شبهتها وعطاؤنا
لها حطب مازاد زاد اضطرامها[١٧١]

ثم تنتهى بهم هذه السياسة الضعيفة ، الى حال لا يحسدون عليها ، فقد لا حظنا كيف فقدوا سلطتهم ونفوذهم ، وصاروا حكاما بلا سلطة ، والان أصبحوا حكاما بلا سلطة وبلا أرض :

لم يبق مال تتقون به العدى
لربيعة فيها ولا قحطان
أخذوا من الاحسا الكثيب[١٧٢] الى محا
ديث [١٧٣]العيون الى نقا حلوان [١٧٤]
والخط [١٧٥]من صفواء [١٧٦]حازوها فما
أبقوا بها شبرا الى الظهران [١٧٧]
والبحر فاستولوا على ما فيه من
صيد الى در الى مرجان
ومنازل العظماء منكم أصبحت
دوراً لهم تكرى بلا أثمان
وأمض شىء للقلوب قطائع
بالمروزان [١٧٨]لهم وكرز [١٧٩]كان [١٨٠]

ثم يتوجه باللوم والنصح لأبى على ابراهيم بن أبى جروان ، ممن كانوا يخططون لخراب الدولة :

أبلغ هديت أبا على ذا العلى
عنى السلام وقل له ببيان
أتراك ترضى أن يحدث جاهل
أو عالم من نازح أو دان
فيقول كان خراب دار ربيعة
بعد العماربنو أبى جروان [١٨١]

وتتوالى صرخات ابن المقرب ، ويحاول أن يبصر السادة من قومه ، بمواطن الضعف في سياستهم ، وماقد يترتب على استمرارهم فيها :

ومن يعط خصما درعه وحسامه
وسابقه فليلبس الذل مشملا
ومن ملك الاعداء تدبير أمره
فذاك الذى يدعى العديم المتكلا
ومن رام طول العمر بالذل والغبا
رأى الموت مرأى عاجلاً ومؤجلا
ومن لم تكن انصاره من رجاله
أخيف وأضحى بالجنايات مبسلا
ومن لان يوما للعدى هان واصطلى
على الكره من نيرانها شر مصطلى [١٨٢]

وكان منتهى أمل شاعرنا أن يسمعه

قومه ، ويعوا ما يقول :

فـاه لقـومى لـو أطعت لـديهم
دورا ان فيهم حازم الرأى فيصلا (١٨٣)

ثم تمضي الايام بهذه الدولة ، من سىء الى أسوأ ، ويحاول بعض حكامها ، كالأمير أبى سنان مسعود بن محمد بن عبدالله ، رأب صدعها ، ولم شملها ، واعادة شىء من الهيبة لها ، فكان لها كالجرعة المنشطة :

أبـوسنـان حليف المكرمـات ومن
أنـاف سؤدده السامى عـلى زحل
محي البلاد وقد أشفت على جرف
هار ومانعها بالبيض والاسل (١٨٤)

وقد جاءت ولاية هذا الأمير بعد أن بلغت الأحوال حدا من السوء ، دعا أصحاب الأرض الى الهجرة الى العراق ، وفارس هربا من الظلم الذى نالهم :

وابعث الى المدن بالبشرى مخبرة
بملـك أروع لاعـى ولا كـل
كيمـا تعـود الى الأوطـان أيبـة
قوم رأوا قبل فيهـا خيبة الأمـل
جلاهم الضيم عنها فاغتدوا هربا
من غـير ما بغضـة منهم ولاملـل
في أرض فارس لا يحصى عديدهم
وفي العراقين ملء السهل والجبل
مـذبـذبـين عـن الاوطـان كلهـم
من شدة الشوق والتذكار في شغل
ومن أقـام بهـا قـامت قيـامتـه
وعاين النار من خلف ومن قبل (١٨٥)

وينادى ابن المقرب الطيور المهاجرة في فارس والعراق ، ويدعوهم الى العودة لوطنهم :

يا هاجر الدار من خوف هلم فقد
نادى بك الأمن أن اقدم على عجل
ولا تخف فـالذى قـد كنت تعهده
أزاله سيد الاملاك منذ ولى (١٨٦)

وتجلت همة هذا الأمير ، في الحد من صولجان البادية بزعامة بنى عقيل ، حين جاءوا مغيرين على الاحساء :

سل عنه يـوم أغارت في كتـائبها
خيل القطيف من القرحا(١٨٧) الى الجبل
يحثهـا من عقيـل كـل ذى أشر
مولى فوارس لا ميل ولا عزل (١٨٨)

فقد استطاع أن يعيد الى البحرين شيئا من استقرارها ومنعتها ، بعد طـول اضطراب وذل :

به أنارت قرى البحرين وابتهجت
بقـاعـهـا وتسمـت قـرة المقل
وأصبحت بعد ثوب الذل قد لبست
ثوبا من العزذا وشى وذا خمل (١٨٩)

ومثل هذه الجرعة المنشطة ، سرعان ما انتهى مفعولها ، ويبدو ان الدولة قد بلغت حدا من الضعف ، أصبح فيه تحديد الداء ، ووصف الدواء ، غير ذى جـدوى ، فلا تكـاد تخلو قصيـدة لابن المقرب في هذه الفترة ، من النصح والتحذير ، وانتقاد سياسة حكامهم ، الى حد السخرية منهم :

وكم أندب الموتى واسترشح الصفا
واستنهض الزمنى واعتان بالرمد (١٩٠)

ويقول من قصيدة أخرى :

ثكلتـهـم الاعـداء إن حيـاتـهـم
غم الصـديق وفـرحـة الأعـداء
جلـد الجمال عـلى الهوان وفيهم
ضعف الدبا وتلون الحرباء (١٩١)

ثم يتولى الحكم الأمير ابو القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبدالله ، ولكنه كان عظيم الركون الى بطانة الفساد ، ممن كانوا يعملون في هلاك دولته (١٩٢) ، وفي عهده قام أهل الاحساء

بقتل بدوى قاطع طريق من بنى عقيل ، فجاء أهله يطالبون الأمير بديته ، فأنكرت أهل الاحساء عليه ذلك ، ويهتبل ابن المقرب الفرصة ، مرغبا قومه في الصبر والحرب ، مقبحا عليهم خضوعهم [١٩٣] ، فيقول :

الى كم مداراة العدى واحترامها
وكم يعترينا ضيمها واهتضامها
أما حان يافرعى ربيعة أن ارى
بنات الوغى يعلو الروابى قتامها
ردوا الحرب ورد الظامئات حياضها
خوامس يغتال النصال ازدحامها [١٩٤]

ثم يقول من القصيدة ذاتها :

صلوا بالخطا قصر السيوف فانها
تطول ولايغنى غناء كهامها
فضربا وطعنا بالصوارم والقنا
فلا عذر حتى يخضب السيف هامها
ولا تهنوا واستشعروا الصبر جنة
وعزما فما للحرب الا اعتزامها

وتستغل بطانة السوء من حول أبى القاسم ركونه اليهم ، فيتواطئون مع رؤساء قبيلة بنى عقيل بن عامر (وهم بنو عصفور) ، بأن يشنوا الحرب على الأمير ، ويحصروا الاحساء ، ويطلبوا الصلح مقابل مبلغ من الذهب يعجز الامير عنه ، وهنا يشيرون على الامير برهن ما بقى من ممتلكات أسرته ، وكان لهم ما أرادوا ، وتمت المؤامرة في غيبة من الشاعر ابن المقرب في القطيف ، فلم يتركوا لاسرته ملكا يعرف باسم أو يحد بحد ، فجاء معاتبا ابا القاسم على ذلك : فأنكره ، وحلف أنه لم يفعله [١٩٥] ، ثم أنشا قصيدته التى مطلعها :

بعض الذى نالنا يادهر يكفينا
فامنن ببقيا واودعها يدا فينا [١٩٦]

وقد جاءت هذه القصيدة نفثة مصدور ، تدفقت زفرات حرى ، وحسرات مؤلمة على عزهم الذاهب ، وهو يراه يتحول الى من لا يستحقونه :

يا ضيعة العمر يا خسران صفقتنا
يا شؤم حاضرنا الأشقى وبادينا
كنا نخاف انتقال الملك في مضر
فمرحباً بك يا ملك اليمانينا
فإن تولت ملوك الروم ما بلغت
معشار ما صنعت اخواننا فينا
كنا نضج من الحرمان عندهم
ونطلب الجاه فيهم والبساتينا
فاليوم نفرح ان يبقوا لموسرنا
من ارث جديه سهما من ثمانينا [١٩٧]

ثم يسجل اعترافه بنجاح سياسة أعدائهم ، ونيلهم لمآربهم ، بما التوى من السبل أو كان واضحا صريحا :

نال المعاند منا ما يحاوله
سرا وجهراً وتعريضاً وتعيينا [١٩٨]

وحين نقرأ قصائده لهذه الفترة ، التى صورت انحطاط شأنهم ، وتدهور أحوالهم ، نحس بقدر كبير من المرارة فيها ، اذ لم يبق لهم سوى السيادة الاسمية على البحرين ، والسلطة الفعلية قد أصبحت لأعدائهم البدو المتمتعين بكامل خيراتها ، وحسبنا عينيته التى مطلعها .

دع الدار بالبحرين تعفو ربوعها
وسقها ولو لم يبق الا نسوعها [١٩٩]

والتى يقول فيها :

وليس لنا في الدر الا محاره
ولا في عذوق النخل الا قموعها [٢٠٠]
فبعداً لدار خيرها لعدوها
وقوم بأسوأ كل حظ قنوعها

وتبلغ المرارة قمتها حين يقول :

عفاء على البحرين لو قيل أينعت
زنابير واديها وجادت زروعها
فهل ذاك الا للعدو وعصبة
سيشقى بها متبوعها وتبوعها(٢٠١)

وكان لهذا الاضطراب السياسى ، وفقدان السلطة الحاكمة لهيبتها أثره فى الحياة الاجتماعية ، فانحطت الأخلاق ، وشاع الفساد ، وتدهورت القيم الأخلاقية ، وأصبح المال غاية همهم، ناهيك عن الثمن .

وسوداء مومسة أجل لديهم
من عالم حبر وأدنى مقعدا
وبمصلح لا بل بألفى مصلح
لا يعدلون خبيث أصل مفسدا
لو قيل كن هوداً لأشرف رتبة
منهم ودونك درهما لتهودا(٢٠٢)

وهذا مؤشر واضح وقوى ، على النهاية الحتمية الوشيكة لدولتهم ، بعد ان أصبحت بلادهم .

أماكنا لعبت أهل الفساد بها
فدمروها بلا فكر ولا نظر(٢٠٣)

وقد ترتب على سوء تصرف الأمير أبى القاسم مسعود بن محمد ، أن سخطت عليه الأسرة العيونية ، ونفضت يدها من مناصرته ، لتجريدهم ممتلكاتهم ، فتلاشت سلطته ، وتقلص نفوذ العيونيين من ذلك الحين ، وما هى الا سنوات قليلة ، سيطر بعدها بنو عصفور رؤساء بنى عقيل بن عامر على شئون الحكم ، وذلك فى العقد الرابع من القرن السابع من الهجرة(٢٠٤) .

كما يذكر ابن خلدون فى تاريخه(٢٠٥) « ان ابن سعد قال : سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية عام ٦٥١هـ عن البحرين ، فقالوا : الملك فيها لبنى عامر بن عوف بن عامر بن عقيل ، وبنو ثعلب من جملة رعاياهم ، وبنو عصفور منهم أصحاب الاحساء » .

وفي عام ٦٣٣هـ يطغى المد الزنجى الفارسى على المنطقة ، بقيادة أبى بكر بن سعيد الزنجى ، الذي وسع مملكة فارس ، فاستولى على جزيرة قيس عام ٦٢٦هـ ، وكان بها بنو قيصر ، فانتزع الجزيرة منهم ، ثم استولى على جزيرة أوال ، ثم عبر منها الى القطيف عام ٦٤١هـ فاحتلها ، وزحف بجنده نحو الاحساء ، فانتزعها من أهلها ،(٢٠٦) .

وأرى ان هذه النهاية للدولة العيونية ، التى اتفق عليها ـ تقريبا ـ من أرخوا لهذه الدولة ، أو اهتموا بتاريخ هذه المنطقة ، تعد نهاية منطقية ، وحتمية لتطور الأحداث والتى عرضها ابن المقرب عرضا صادقا ووافيا ، يسهل منه توقع نهاية هذه الدولة وتحديدها فاذا ماوضعنا فى أذهاننا أن وفاة شاعرنا كانت عام ٦٣٠هـ فالأدنى للمنطق ان تنتقل السلطة الى سواهم ، بعد وفاته بقليل ، أى في وقت لا يزيد عن العقد الرابع من القرن السابع الهجرى .

وهكذا دام حكم العيونيين مائة وسبعين عاما تقريبا ، وليس صحيحا أنه استمر ثلاثة قرون كما يذكر العبيدى .(٢٠٧) وكان الفضل بن محمد بن مسعود آخر حكامها .(٢٠٨) .

وبعد هذا العرض السريع لقيام الدولة العيونية ، والذي وقفنا فيه عند مؤسسها عبدالله بن علي ، والدور الكبير الذي نهض به فى اقرار سلطتهم ، عند آخر حكامها الأقوياء محمد بن أبى الحسين . وخرجنا من هذه الوقفة بأن أمراء هذه الدولة كانوا يعترفون بسلطة بغداد الرمزية عليهم ، وكانت هذه الدولة عربية

بحته ، وعصبتها يمثلون كثرة ساحقه في البحرين ، وأن الطابع البدوى كان مسيطرا الى حد كبير على أجهزة الدولة ، وعلى نظام الحكم فيها ، وأنها قد افتقرت طوال مدة حكمها للاستقرار والامن ، وأن أعداءها ـ وهم كثر ـ لم يكفوا عن ازعاجها ولم تحل هيبة حكامها الأقوياء دون أطماعهم فيها ، وقد لاحظنا مع مطلع القرن السابع ان أحوالها قد أخذت تسوء ، وتؤذن بزوال فمنيت فى آخر أيامها بعدد من الحكام الضعاف ممن كانت تنقصهم الدراية بسياسة البدو ، وفى العقد الرابع من هذا القرن ، كانت السلطة قد خرجت تماما من أيديهم الى بنى عصفور ، زعماء بنى عقيل بن عامر .

ولعله من المناسب أن نوجز العوامل التى أضعفت دولتهم :

ـ وفي مقدمة هذه العوامل « الصراع القبلى » بين العيونيين وبدو الاحساء ، كبنى عامر ، وبنى عقيل ، وبنى مالك .. وغيرهم ، وقد عانت الدولة كثيرا من هذا الصراع ، الذي استنزف الكثير من طاقاتها ، منذ تأسيسها وحتى سقوطها .

ـ يلى هذا عامل لا يقل عن سابقة أهمية ، وهو انقسام الاسرة العيونية ، وتنافس أمرائها على السلطة ، وتوثبهم ببعض ، وقد اتخذ تنافسهم شكلا دمويا فى أخريات أيام دولتهم ، وكان أعداؤهم من البدو حريصين على هذا التنافس ، وذلك الانقسام ، وتدبير الاغتيالات لبعض امرائهم وكان النزاع على الحكم بين فرعى فضل وعلى ، أقوى فروع الاسرة العيونية .

ـ ثم وفاة الأمير محمد بن أبى الحسين ، ومجىء حكام ضعاف تنقصهم الخبرة بسياسة البدو ، مثل غرير بن الحسن ، وماجد بن محمد ، وأبو القاسم مسعود بن محمد .

ـ صراعهم مع حكام جزيرة « قيس » .

ـ والوقوف فى وجه العجم الطامعين فى في الاحساء « كالقارونى » والشركسيين الذين جاءوا بقيادة ركن الدولة للثأر « للبغوش » أخى اكسك سلار .

ـ صراعهم مع بعض الشخصيات القوية في الاحساء ، ممن كانوا يتمتعون بالسيادة على اجزاء منها أبان تأسيس دولتهم كالحسن بن يحيى ، وحماد النائلى .

ـ ويجب أن لا نغفل سوء الاحوال الاجتماعية والاقتصادية ، فقد عانت البحرين أيام حكمهم من تلاحق الغارات عليها ، وتجريد الحملات لاخماد الفتن فيها ، وتفشى الظلم الذي راح ضحيته عدد من أبناء الأسرة العيونية نفسها ، ممن لم يعجبهم تخاذل حكامهم ، وأدى ، بالتالى ـ الى نزوحهم عن وطنهم ، قاصدين العراق وفارس ، وكان شاعرنا ابن المقرب الضحية الأولى والكبرى الذى ذاق ألوانا من ظلم ذوى قرباه ، ولم تكن الرعية أحسن حالا ، فقد كثرت اشارات ابن المقرب الى سوء احوالها ، وفساد أخلاقها ، وضعف النفوس فيها .

ولم يكن من الممكن ازدهار حياة عقلية فى دولة كان هذا حالها ، وذاك طابعها فلم نجد فى شعر ابن المقرب اشارات لاهتمام حكامهم بالعلم والعلماء ، ولم نسمع عن شاعر قد سعى مادحا الى بلاطهم ، سوى ذلك الشاعر المغمور المسمى « بالثعلبى » كما كان يفعل حكام الدويلات المستقلة عن الخلافة ، حين كانوا يحاولون الظهور بمظهر يليق باستقلالهم فاستكثروا في

بلاطهم من العلماء والشعراء .

ولعل هذا لم يكن ذنب العيونيين ، بقدر ما هو ذنب العصر الذي أقاموا فيه دولتهم ، عصر انحطاط الدولة الاسلامية وتمزق أوصالها ، واحاطتها بشتى الأخطار كما أن تاريخ هذه الدولة لا زال بحاجة الى المزيد من جهد الباحثين والمتخصصين لا لقاء المزيد من الضوء عليه .

عصره : المكان

تحتل المنطقة التى عرفت قديما باسم « البحرين » ثم باسم « هجر » ثم باسم «الاحساء » ثم أطلق عليها فى عهدنا الحاضر اسم « المنطقة الشرقية » الممتدة على الساحل الغربي للخليج العربي ، والتى تمثل الحد الشرقى الاقصى للوطن العربي ، موقعا فريدا بالنسبة للعالم ، فسواحلها الغربية تضم . المنافذ الطبيعية للأقاليم الداخلية الفسيحة لشبه الجزيرة العربية ، كما تجاور ساحلها الغربي أغنى أماكن العالم بزيت النفط .

وتبرز أهمية الموقع الاستراتيجي للخليج العربي بين قارات العالم آسيا وأوربا وأفريقيا بأنه ذراع المحيط الهندى البحرى ، والذي يقرب المسافة عبر منطقة الهلال الخصيب بين المحيط والبحر المتوسط ، فموقعه المتوسط هذا جعل منه ممراهاما يصل الهند من ناحية ، وشط العرب من الناحية الأخرى .(٢٠٩) .

أما عن أهمية الموقع بالنسبة للجزيرة العربية ، وما جاورها من الامصار ، فحسبنا أن نذكر أن الجزيرة العربية قد عرفت منذ أقدم عصورها طريقين أساسيين للقوافل التجارية بين طرفيها الشمالى والجنوبى . ويبدأ الطريقان من « ظفار » التى كانت المركز الاساسى لتجارة البخور ، التى يعتمد عليها الشطر الاكبر من التجارة العربية ، ويجرى الطريقان الى الشرق والغرب منها ، ليتجنبا اختراق تلك الصحراء الرهيبة المعروفة بالربع الخالى . أما الطريق الشرقى فيمضى متاخما لقوس عمان الساحلى متجها الى القطيف على الخليج العربي ، التى كانت مرفأ تحمل اليه بضائع الهند ومن القطيف عن طريق تدمر الى فلسطين وصور بسوريا ، وليس من شك في أن هذا الطريق كان الطريق الاساسى الذي تنقل فيه بضائع الهند الى صنعاء باليمن ، ومنها الى ثغور البحر الاحمر أو الى الحجاز »(٢١٠) .

وقد شهدت هذه المنطقة - لأهمية موقعها - صراعا طويل الأمد بغرض الاستحواذ على طرقها التجارية وخيراتها ، فكانت مسرحا للاطماع والغزوات الخارجية عبر قرون عديدة ، ومن أمم مختلفة . « والمنطقة الشرقية » من أحفل الأقطار العربية بالحوادث التاريخية ، التى تدعو المؤرخين الى العناية والاهتمام ، فقد كانت مهدا لشعوب عريقة فى الحضارة ، كما دلت على ذلك الآثار التى كشف عنها حديثا فى سواحل هذه البلاد ، وفى جزيرة « أوال » المعروفة الآن باسم « البحرين » .. ثم هذا القطر من حيث الخصوبة والموقع المتوسط يعد من خيرة أقطار الجزيرة العربية وأصلحها للاستيطان ، فتنازعته قبائل عربية مختلفة ، من « تنوخ » و « إياد » ، و « ربيعة » وغيرها من القبائل

فصار مسرحا لكثير من حوادث البطولة في العصر الجاهلي[٢١١] .

ومن هذا القطر أيضا انطلقت ثورتان عنيفتان غريبتان في تاريخ الاسلام ، ثورة « صاحب الزنج » التي دعت الى تحرير العبيد ، وثورة « القرامطة » الى دعت الى نوع من العدالة الاجتماعية المتطرفة ، فأزعجت بني العباس ، وعاثت فسادا في سائر الاقطار العربية ، حتى أطلق بعض المؤرخين على دولتهم « الامبراطورية القرمطية » .

ولكن حين نقلب كتب التاريخ العربي - على ضخامتها وكثرتها - نجد أنها قد أغفلت هذه المنطقة الهامة من العالم العربي ، فيما عدا تأريخها لهاتين الثورتين اللتين استطاعتا لفت انظار العالم الاسلامي آنذاك الى هذه المنطقة لفترة محدودة ، وبقى تاريخ البحرين ، القديم مفصم الحلقات غير متصل ، حيث أن الفصول التي عثر عليها منه تكاد تكون مفصومة ، للوقت الحاضر[٢١٢] .

ولعل سبب اهمال تاريخ هذا القطر - على أهميته - ان تاريخنا هو تاريخ حكومات وأفراد ، لا تاريخ أمم وشعوب وأقاليم[٢١٣] .. هذا من جانب ، ومن جانب آخر عدم قيام دويلة مستقلة على أرضه ، في ذلك الزمان تتمتع بقدر من المدنية ، ونظم الحكم المستقرة كالتي شهدناها في أنحاء كثيرة من العالم الاسلامي في العصر العباسي الثاني ، فقد كان لهذه الدويلات من المكانة ، ما جعلها تنافس الخلافة في بغداد . أما عن الدولة العيونية - وسيأتي الحديث عنها - التي حكمت زهاء قرنين في البحرين في أواخر العصر العباسي الثاني ، فقد كانت الى طابع البداوة أقرب ، كما أنها قد حرمت نعمة الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

ثم يصمت التاريخ عن هذه المنطقة الشاسعة ، وتتقوقع على نفسها ، ومثلها سائر شبه الجزيرة العربية ، اللهم الا اليمن ، ومكة ، والمدينة التي بقيت نابضة بالحياة . وعادت القبائل العربية تتنازع السيطرة على اجزائها ، معيدة بذلك سيرتها الأولى .

ومع بداية هذا القرن أخذت الحياة تدب على أرض الاحساء قوية نشطة ، وزادت أهميتها بكشف موارد البترول في ارضها ، فقد قلب هذا السائل السحرى مجرى تاريخ طبيعة البلاد ، ورفع مستواها[٢١٤] وليس بين أقاليم المملكة العربية السعودية اقليم يضارع مقاطعة الاحساء أو يدانيها في شهرتها العالمية ، فقد اكتشف الخبراء ان تحت سطح أرضها مستودعات زاخرة بالنفط ، ولا يقل احتياطيها من البترول عن ثلثي الاحتياطي العربي »[٢١٥] .

تقع البحرين في شرقي الجزيرة العربية .. ويقول صاحب معجم البلدان : [٢١٦] «والبحرين اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند (الخليج العربي) بين البصرة وعمان» وقد اختلف جغرافيو [٢١٧] العرب القدامي في تحديد رقعتها ، وكانت تحديداتهم لها مرتبطة بالحدود السياسية ، وهذه الحدود لم تكن تعرف الثبات آنذاك ، فهي تتسع تارة ، وتضيق أخرى ، تبعا لقوة السلطة الحاكمة أو ضعفها ، فحين يعد بعضهم «اليمامة» من أعمالها ، يرى ياقوت أنها عمل برأسه في وسط الطريق بين مكة والبحرين ...[٢١٨] .

وكما اختلف جغرافيو العرب في تحديد رقعتها ، اختلفوا في تحديد قصبتها ، فقيل هي قصبة هجر ، وقيل : هجر قصبة البحرين ..[٢١٩] . «والهجرة بلغة حمير والعرب العاربة : القرية ، فمنها هجر البحرين ، وهجر نجران ، وهجر جازان .. وهجر مدينة ، وهي قاعدة البحرين ، وربما قيل الهجر بالألف واللام ، وقيل ناحية البحرين كلها هجر»[٢٢٠] . ويقول الهمداني» «ومدينتها هجر» «[٢٢١] . أما القلقشندي فيقول «وقاعدتها عمان» .[٢٢٢]

والبحرين هي الخط ، والقطيف ، والآرة ، وهجر ، وبينونه ، والزارة ، وجواثا ، والسابور ، ودارين ، والغابة ، وقصبة هجر الصفا والمشقر .[٢٢٣] ، والفروق والشنون [٢٢٤] ، وعماية ، وثعالة ، وأحزب ، وصاحة [٢٢٥] ، وهذا دليل قاطع على اتساع أرض البحرين قديما .

وهذه المنطقة التي كان يطلق عليها البحرين مرة ، وهجر مرة أخرى تضم الآن ، قطر ، والبحرين ، والكويت والجزر المقابلة لها ، والاحساء .[٢٢٦]

وهناك تعليلات كثيرة مختلفة لاطلاق اسم «البحرين» على هذه المنطقة ، لدى القدماء والمعاصرين من جغرافي العرب ، قيل في المشترك [٢٢٧]نقلا عن الازهري : انما سميت هجر بالبحرين لبحيرة عند الاحساء ، قدرها ثلاثة أميال ، وماؤها مر زعاق ، وهي البحيرة المعروفة والمشهورة الآن بالأصفر في آخر قرى الاحساء الشرقية» .[٢٢٨] .

ويرى بعضهم أنها سميت البحرين من أجل نهرها محلم ولنهر عين الجريب .[٢٢٩] . أو ربما اطلق عليها هذا الاسم لأنها على شاطىء البحرين ، بحر عمان ، وبحر فارس .[٢٣٠] .

وبالنسبة لهذه التعليلات ، فالرأي الأول ـ عندي ـ هو الأرجح ، شأنها في ذلك شأن بعض البلاد التي عرفت واشتهرت بأسم مدينة فيها أو موضع ، فمصر مثلا اسم يطلق على الاقليم العربي المعروف ، وقد يقصد به مدينة القاهرة ، وهذا ابن بطوطة [٢٣١] يقول في تحفته : والبحرين مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين .. ولم يسبق ـ في مدى علمي ـ أن ذكر أحد قبله مدينة باسم البحرين ، وانما قد زار عاصمتها آنذاك ومثله ـ في اطلاق اسم البحرين على قصبتها ـ ابن خلدون [٢٣٢] . فقد عرفت هذه المنطقة بالبحرين نسبة لتلك البحيرة الغربية والمشهورة حتى الآن ، ثم عرفت باسم هجر حين صارت يوما عاصمة ، الى أن جاء أبو طاهر القرمطي فابتنى الاحساء واتخذها عاصمة .[٢٣٣] . ويبدو أن اسم المدينة «الاحساء» [٢٣٤] . قد غلب على الاقليم كله ، وخاصة حينما تنوسيت كلمة هجر ، وأطلقت كلمة «البحرين» على مجموعة الجزر المعروفة الآن في الخليج العربي [٢٣٥] ، بالقرب من الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب ، ونحن لا نستطيع أن نعين تاريخا دقيقا لانتقال اسم البحرين من الأرض نفسها الى الأرخبيل المجاور لها .[٢٣٦] ، فحتى نهاية العصر العباسي الثاني ـ كما نفهم من شعر ابن المقرب ـ كان اسم البحرين ما يزال يطلق على الساحل الشرقي للجزيرة العربية بما فيها ذلك الأرخبيل المجاور لها .

«والاحساء بالفتح والمد جمع حسى بكسر الحاء وسكون السين .. وهو الماء

الذي تنشفه الأرض من الرمل ، فاذا صار الى صلابة أمسكته ، فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه .. وفي البادية أحساء كثيرة على هذه الصفة ، منها احساء بني سعد بحذاء هجر ، واحساء القطيف .. وغير ذلك» . (٢٣٧)

والاحساء في مجموعها أراض منبسطة قليلة الارتفاع اذ يتراوح ارتفاعها بين ثلاثين مترا وثلاثمائة متر ، تميل ميلا خفيفا نحو الشرق ، أي نحو الخليج العربي (٢٣٨) . ويمكن أن يستدل على ذلك من اتجاه الينابيع . (٢٣٩) والقسم الأكبر من الاحساء سهل صحراوى ، ويوجد كثير من التلال المتقطعة ، تستخدم كحدود للمناطق ، ويوجد خط من التلال على طول وادي المياه وجبل الطف ممتدة الى الجنوب ، كما يمتد مرتفع الصمان الصخرى ، موازيا لساحل الخليج العربي متوسطا بين الاحساء والدهناء حيث يفصل هذا القسم عن نجد ، والمنطقة الساحلية سبخة على العموم ، ويوجد بها عدد عظيم من الآبار وماؤها قريب من سطح البحر . (٢٤٠) وتربتها خفيفة رملية ، ومع أنه توجد بقاع قاحلة صغيرة هنا وهنالك ، الا أن أرضها خصبة بوجه عام ، (٢٤١) وتكاد تغص بالعيون الدافئة منها والحارة (٢٤٢) ، وهى ذات بساتين وأشجار وأنهار ، وبها حدائق النخل والرمان والاترج ، ويزرع بها القطن (٢٤٣) ، كما تعد أكبر مخزن لتكوينات البترول التي تجمعت في المناطق القبابية ، التي تمتد على طول الخليج العربي كما تعد أكبر مخزن للمياه الباطنية . (٢٤٤)

وعلى الرغم من وفرة المياه فيها ، وخصوبة الارض ، وكثرة البساتين والأشجار ، وانتشار العشب في مراعيها في الربيع ، فانها لا تتمتع بجو صحي فجوها يشبه جو المناطق المنخفضة ، والقسم الشرقي من الاحساء يشبه جو تهامه . (٢٤٥)

وهواء القطيف كثير الرطوبة وغير صحي . (٢٤٦) والاحساء شديدة الحر كثيرة الرمال وربما غلب الرمل على بعض منازلها . (٢٤٧) والخليج العربي ككل لموقعه بين خطي عرض عشرين درجة وثلاثين درجة شمال خط الاستواء في العروض المدارية ، جعل من مناخه أكثر أنواع المناخ ارهاقا لطول مدة ظهور الشمس في الأفق حيث يبلغ ظهورها (ثلاث عشرة ساعة ونصف) (صيفا) ، وعشر ساعات ونصف) (شتاء) ، مما يؤدي الى عظم تأثير ضوء الشمس في ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة ، لقلة تأثير مسطح الخليج المائي تأثيرا محسوسا ، وخلوها من الغطاءات النباتية الأمر الذي يؤدي الى ارتفاع نسبة الرطوبة والحرارة . (٢٤٨) لذا فمناخ الخليج العربي بعامة له شهرة لا يحسد عليها .

***

الهوامش

١ ـ د. مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمداني : ص٧ : دار القلم : القاهرة ١٩٥٩م .
٢ ـ محمد طلس : تاريخ الأمة العربية : جـ٤/ص٥ : دار الاندلس : بيروت ١٩٦٣ .
٣ ـ نظام الملك : أبو على الحسن بن على بن اسحق . ت ٤٨٥هـ ، وقد تقلد الوزارة لألب أرسلان وملكشاه نحوا من ثلاثين سنة ، وكان عالما دينيا جوادا عادلا حليما ، محبا للعلماء ، وقد بنى المدارس في سائر الأقطار والبلاد (انظر : ابن الأثير : الكامل ٨/١٦١ ـ ١٦٣ : مطبعة الاستقامة بالقاهرة) .
٤ ـ بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية : ص١٣٥ : ترجمة نبيه فارس ، ومنير بعلبكي دار العلم للملايين : بيروت ١٩٤٨م .
٥ ـ انظر تاريخ الشعوب الاسلامية : ١٣٥ .
٦ ـ انظر تاريخ الأمة العربية : ج٤ ص٥ .
٧ ـ جعفر خصباك : العراق في عهد المغول : ٥ : مطبعة العاني : بغداد : الطبعة الأولى ١٩٦٨ .
٨ ـ الناصر لدين الله : أحمد ـ أبو العباس ـ بن المستضىء ، بأمر الله ، ولى الخلافة عام ٥٧٥هـ ، كان من أفاضل الخلفاء وأعيانهم ، بصيرا بالأمور ، مجربا ، مهيبا ، طالت مدته وصفا له الملك ، كان وقته مصروفا الى تدبير أمور المملكة ، والى التولية والعزل والمصادرة وتحصيل الاموال ، توفي عام ٦٢٢هـ (ابن طباطبا ـ تاريخ الدولة الاسلامية : ٣٢٢ : دار صادر ، بيروت ١٩٦٠م) .
٩ ـ العراق في عهد المغول : ١٣ .
١٠ ـ السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٤٨٠ : تحقيق لجنة من الأدباء : دار الثقافة : بيروت (بدون تاريخ) . وانظر : ابن الأثير : الكامل : ٩/٣٣١ ، ٣٦١ .
١١ ـ انظر تاريخ الشعوب الاسلامية : ٢٥٨ .
١٢ ـ المستنصر بالله : أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله ، ولى الخلافة عام ٦٢٣هـ عرف بكرمه وشهامته ، وله من الآثار الجليلة «المستنصرية» كانت

أيامه طيبة ، والدنيا في زمانه ساكنة ، توفي عام ٦٤٠هـ (انظر تاريخ الدولة الاسلامية ٣٣٠ وانظر تاريخ الخلفاء ٤٩٠).

١٣ ـ المستعصم بالله : قتيل التتار ، تولى الخلافة عام ٦٤٠هـ ، وتوفي عام ٦٥٦هـ (انظر : تاريخ الدولة الاسلامية ص٣٣٣ ، انظر : تاريخ الخلفاء : ص٤٩٧)

١٤ ـ تاريخ الدولة الاسلامية : ص٣٣٣ .

١٥ ـ انظر : تاريخ الأمة العربية : ٥/٤ .

١٦ ـ انظر : تاريخ الأمة العربية : ١٢١/٤ .

١٧ ـ انظر : المرجع السابق نفسه ١٢١/٤ ـ ١٢٢ .

١٨ ـ د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي : ١٣٥/٤ ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ .

١٩ ـ انظر تاريخ الشعوب الاسلامية : ٣٢٦ .

٢٠ ـ الملك الاشرف : أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب الملقب بالملك الأشرف ، وهو أحد ملوك بنى أيوب ، كان سلطانا كريما ، حليما ، واسع الصدر ، كريم الاخلاق ، ولد عام ٥٧٨هـ ، وتوفي بدمشق عام ٦٣٥هـ . (انظر : وفيات الاعيان : ٤١٣/٤) تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ، النهضة المصرية : ١٩٤٨ .

٢١ ـ عبدالفتاح الحلو ديوان ابن المقرب : ٣٠٠ مطبعة الحلبي : القاهرة : الطبعة الأولى ١٩٦٣م . وباقت عليه البوائق : أصابته الشرور والدواهى .

٢٢ ـ الديوان : ٣٠٠

٢٣ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية : ٢٥٣ .

٢٤ ـ انظر : تاريخ الأمة العربية ٨/٤ .

٢٥ ـ تاريخ الاسلام السياسى٤ /١٣٥ .

٢٦ ـ انظر : تاريخ الأمة العربية ٥/٤ ـ ٦ .

٢٧ ـ انظر : المرجع نفسه .

٢٨ ـ انظر : محمد صالح : الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير : ٣ : مطبعة القضاء : النجف الاشرف : ١٩٧٠م .

٢٩ ـ انظر : بدرى فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير : ٣٣٨ : مطبعة الارشاد ببغداد ١٩٧٣م .

٣٠ ـ بدرى فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير : ٣٥٠ .

٣١ ـ المرجع نفسه : ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

٣٢ ـ الديوان : ٢٢٤ .

٣٣ ـ القصيدة السابقة : ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

٣٤ ـ الديوان : ٢١٣ .

٣٥ ـ شمس الدين باتكين الرومي الناصرى ، كان مملوكا لابنة الخليفة المستنجد بالله ، سلمت اليه البصرة بحربها وخراجها ، فأقام بها ثلاثا وعشرين سنة ،

فعمرها وأحسن السيرة في أهلها ، ولما ملك الخليفة «اربل» استدعى من البصرة وأنفذ اليها واليا . كان متعبدا كثير التلاوة للقرآن ، والمذاكرة للعلوم والسير والتاريخ والاخبار ، والأشعار ، وله نظم حسن .
(انظر : لابن الفوطي : ١٨١ ـ ١٨٢ ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) ، المكتبة العربية ببغداد ١٣٥١هـ .

٢٦ ـ الديوان : ٢١٢ ـ ٢١٣ .

٢٧ ـ انظر : تاريخ الاسلام السياسي : ٤/ ٤٢٠ .

٣٨ ـ انظر : محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي : ٦ ـ ٧ : دار المعارف بالقاهرة ١٩٧١ م .

٣٩ ـ انظر : تاريخ الاسلام السياسي : ٤/ ٤٢٠ .

٤٠ ـ الحياة السياسية في العراق : ٣٦٥ .

٤١ ـ جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية : ٣/ ١٢ ـ١٣ : مطبعة الهلال ١٩٣١ م .

٤٢ ـ انظر : ارنولد ويلسون : الخليج العربي : ١٦٠ : مطبعة الأمل : الكويت (بدون تاريخ) .

٤٣ ـ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٤/ ١٩٧ : دار الكتاب اللبناني ١٩٥٨ .

٤٤ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان : ١/ ٣٤٨ : ١/ مطبعة السعادة : القاهرة ١٩٠٦ .

٤٥ ـ انظر : محمد عبدالقادر الانصاري : تحفة المستفيد : ٥٦ ـ ٥٧ : ط ١ الرياض ١٩٦٠ .
وانظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٢٨٢ دار المعارف بمصر ١٩٤٨ م .

٤٦ ـ انظر : محمد بن خليفة النبهاني : التحفة النبهانية : ٧٨ : المطبعة المحمدية بالقاهرة ١٣٤٢ هـ .

٤٧ ـ العبر : ٤/ ١٩٧ .

٤٨ ـ المستكفي بالله : بويع بالخلافة عام ٣٣٣ هـ ـ واستولى البويهيون في زمنه على مقاليد السلطة ، واعتقله معز الدولة بن بويه ، ولم يفرج عنه حتى توفي عام ٣٣٨ هـ . (انظر تاريخ الخلفاء : ٤٢٧) .

٤٩ ـ خضر نعمان العبيدي : البحرين من امارات الخليج العربي : ٢٦ : مطبعة المعارف ببغداد ١٩٦٩ .

٥٠ ـ القرامطة : الواحد قرمطي وهم جماعة من غلاة الباطنية، عرفوا بفساد عقيدتهم ، وكبيرهم ابو سعيد بن بهرام الجنابي القرمطي ظهر بالبحرين ودعا الناس الى نحلته ، وعظم أمره ، وحارب الخلافة العباسية بعد أن استولى على سائر حواضر البحرين ، فقتله خادمه في الحمام عام ٣٠١ هـ .

وانظر في ابتداء أمرهم وفساد عقيدتهم ابن الأثير : الكامل : حـ٧ / ١٦٠ - ١٦١ المطبعة الكبرى بالقاهرة ١٢٩٠ هـ .

٥١ - الكامل : ١٧٥/٧ وانظر البحرين من امارات الخليج العربي .

٥٢ - انظر الكامل : ١٧٧/٧ وما بعدها .

٥٣ - المصدر نفسه ١٩/٨ .

٥٤ - انظر المصدر نفسه : ٧١/٨ وما بعدها ، ١٧٥ ويذكر ابن الأثير أن أبا طاهر القرمطي قد هجم على مكة (عام ٣١٧ هـ) في يوم التروية ، فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه ، وقلع الحجر الأسود ، ونقله الى هجر ، وقلع باب البيت ، وطرح القتلى في بئر زمزم وأخذ كسوة الكعبة ، ونهب دور أهل مكة بعد أن قتل أميرها . فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيدالله العلوي بافريقيه كتب اليه ينكر عليه ذلك ، ويلومه ويلعنه ، ويرميه بالكفر والالحاد . فلما وصله كتابه أعاد الحجر الاسود في ذي القعدة من عام ٣٣٩ هـ ، وقالوا أخذناه بأمر وأعدناه بأمر .

٥٥ - المصدر نفسه ١٢٣/٨ .

٥٦ - انظر : المصدر نفسه : ٢٢٠/٨ وما بعدها .

٥٧ - المصدر نفسه ١٥/٩ ، ١٦ .

٥٨ - العبر : ١٩٥/٤ وما بعدها .

٥٩ - انظر : الكامل : ١٥/٩ ، ١٦ وانظر : العبر : ١٩٥/٤ وما بعدها .
*صمصام الدولة هو ابن عضد الدولة البويهي (٣٧٢ هـ - ٣٨٨ هـ)
كتاب الوزراء :
هلال الصابي : ص ١٦٩ : تحقيق عبدالستار فراج : الحلبي ١٩٥٨ .

٦٠ - انظر : الكامل : ١٥/٩ - ١٦ .

٦١ - انظر : العبر : ١٩٥/٤ وما بعدها .

٦٢ - انظر : العصر العباسي الثاني : د. شوقي ضيف : ٤١ : دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م .

٦٣ - انظر : العبر ١٩٥/٤ وما بعدها .

٦٤ - الديوان ٥٣١/٥٣٢ وأدم : بئر على مرحلة من مكة (القاموس : ٧٣/٤) .

٦٥ - انظر: نسخة برنستون المشروحة : تسلسل ٤٤ ، ونسخة برلين المشروحة : تسلسل ١٩٨ ونسخة المكتبة البريطانية المشروحة: تسلسل ٧٢٨٨ .

٦٦ - انظر : .. JAS IX. T. v. 1895. Page 1
وانظر : تحفة المستفيد : ٢٥٧ - ٢٥٨ وجاء في دائرة المعارف الاسلامية (مادة البحرين) أن نهايتهم كانت بعد سنوات قلائل من عام ٤٥٠ هـ على

أيدي أسرة جديدة حاكمة من أهل الاحساء هم العيونية من عبدالقيس . انظر حـ ٤٥/٣١٩/ دار الشعب القاهرة (بدون تاريخ) .

٦٧ ـ الماشوش :
بدعة ابتدعها القرامطة في البحرين وجعلوها دينا ، وهو أن يجمع الرجال والنساء في ليلة العاشر من محرم ، وأول ليلة من برج الحمل المسمى النيروز ، ويشعلون الشمع ويرقصون ويختلطون ، ثم يطفئون الشمع ، ويقبض كل منهم يد امرأة من الجمع ويواقعها سواء أكانت من محارمه أم أجنبية ، فحين ملك عبدالله بن على العيوني البحرين وصارت تلك الليلة ركب أبو شكر المبارك بن الحسن بن أبي مقرب العيوني ومعه غلمانه وهجموا على جمع الفساد فضربوهم وسلبوهم ، وأماتوا بدعتهم من البحرين فما بقيت تعرف . انظر شرح الديوان : ٥٥١ .

٦٨ ـ الديوان :٥٥١ .

٦٩ ـ انظر : أبو عبيد البكري : معجم ما استعجم : ٧٩/١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٥ .

٧٠ ـ تحفة المستفيد :٥٦ .

٧١ ـ انظر : معجم ما استعجم : ٨١/١ .

٧٢ ـ انظر : معجم ما استعجم : ٨١/١ .

٧٣ ـ انظر : جمهرة أنساب العرب : ١٩٧ ، ٢٩٥ ، وانظر : ابن عبدربه : العقد الفريد : ٣٥٧/٣ : مطبعة التأليف والترجمة والنشر : ١٩٥٢ م .

٧٤ ـ The Encyelopedia of Islam Vol 1 : 74, Leideu Brill 1960

٧٥ ـ ابن منظور : لسان العرب : جـ٣/٢٧٣ الدار المصرية للتأليف والترجمة (بدون تاريخ) .

٧٦ ـ معجم ما استعجم : ٨١/١ وانظر : الجمهرة : ٢٩٩ .

٧٧ ـ جمهرة أنساب العرب : ٢٩٥ .

٧٨ ـ معجم ما استعجم : ٨٤/١ .

٧٩ ـ دائرة المعارف الاسلامية : ٧٣/١ ـ ٧٤ .

٨٠ ـ الديوان : ٤٥ والعيص / الشجر الكثير الملتف .

٨١ ـ المصدر نفسه : ٢٨/٢٩ .

٨٢ ـ بنو عامر : هم بنو عامر بن الحارث بن أنمار بن وديعة بن لكيز بن أفص بن عبدالقيس (انظر : الجمهرة ٢٩٥) .

٨٣ ـ ابن افصى: كناية عن نفسه ، وإفصي هو ابن عبدالقيس: انظر: الجمهرة: ٢٩٥ ورباب : أحياء ضبة لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا (القاموس: ٧١/١).

٨٤ ـ الديوان : ٦٦٢ .

٨٥ ـ الديوان : ٤٦١ .
٨٦ ـ المصدر نفسه : ٤٥٦ .
٨٧ ـ الخط : مرفأ للسفن بالبحرين واليها تنسب الرماح الخطية .
٨٨ ـ لكيزية : نسبة الى لكيز بن إفصى بن عبدالقيس (الجمهرة : ٢٩٥) .
٨٩ ـ عوف : أحد بطون قبيلة عامر (الجمهرة : ٢٨٠) .
٩٠ ـ الحارثيين : نسبة الى الحارث بن أنمار بن وديعة بن لكيز ، وكان هذا البطن أشهر بطون أنمار : أنظر : جمهرة أنساب العرب : ٢٩٥ .
٩١ ـ مالك : أحد بطون قبيلة عامر (الجمهرة : ٢٨١) .
٩٢ ـ الديوان : ٤٢ ـ ٤٣ .
٩٣ ـ انظر المصدر نفسه : ٣٦٧ ، ٤٦٢ ، ٥٦٦ .
٩٤ ـ الديوان : ٥٠٤ .
٩٥ ـ دليل الخليج : ٢/٨٢٢ .
٩٦ ـ انظر : مخطوطة برلين المشروحة : تسلسل ١٩٨ ، ومخطوطة برنستون المشروحة : تسلسل ٤٤ وانظر : Jas. Page 16 – 17 ، وانظر تحفة المستفيد ٢٥٧ ـ ٢٥٨ وانظر : دائرة المعارف الاسلامية : ٤٥/٣١٩ .
٩٧ ـ انظر : مخطوطة برلين المشروحة : تسلسل ١٩٨ ، وانظر دائرة المعارف الاسلامية ٤٥/٣١٩ .
٩٨ ـ ديوان ابن المقرب : المطبعة الهندية : ٤٤٤ ، مطبعة دت برساد ببومبى : ١٣١١هـ . وانظر : دائرة المعارف الاسلامية : ٤٥/٣١٩ .
٩٩ ـ انظر : مخطوطة برلين المشروحة تسلسل ١٩٨ : شرح قصيدته الميمية .
١٠٠ ـ انظر : التحفة النبهانية : ٩٥ .
١٠١ ـ انظر : Jas. Page 16 – 17 ، وانظر تحفة المستفيد ، ٩٨ وما بعدها النسخة الهندية : ٤٤٤ وما بعدها .
١٠٢ ـ انظر : النسخة الهندية ، ٤٤٤ ، وانظر : الديوان : ٥٣٣ .
١٠٣ ـ الديوان ٥٣٤ .
١٠٤ ـ انظرا : Jas. Page 16 – 17 .
١٠٥ ـ انظر المرجع السابق نفسه وانظر مخطوطة مجهولة المؤلف بدار الكتب المصرية تسلسل ٦٣٧ تاريخ .
١٠٦ ـ انظر تحفة المستفيد : ٩٨ وما بعدها .
١٠٧ ـ انظر : مخطوطة برلين المشروحة ، وقد ورد فيها نص رسالته الى الخلافة العباسية كاملة وتقع في اثنتى عشرة صفحة .
١٠٨ ـ Jas. Page 16 – 17 .
١٠٩ ـ انظر : تحفة المستفيد : ٩٨ وما بعدها ، وانظر : التحفة النبهانية : ٩٦ ، وانظر الديوان : ٥٣٣ . وانظر : Jas. Page 16 – 17 وانظر : نسخة برنستون المشروحة : تسلسل ٤٤ (شرح الميمية) .

١١٠ ـ الديوان : ٥٣٤ واليتم : الابطاء (القاموس : ٤/١٩٣) .
١١١ ـ انظر : ابن المقرب حياته وشعره : ٤٢ .
١١٢ ـ التحفة النبهانية : ٩٥ ، وانظر : نسخة برنستون المشروحة تسلسل ٤٤ (شرح الميمية) .
١١٣ ـ الديوان ٥٣٨ ـ ٥٣٩ .
١١٤ ـ عتيك : قبيلة تنسب الى عتيك بن الازد بن عمران بن عمرو مزيقاء الكهلاني القحطاني (الجمهرة : ٣٤٨) حدان : قبيلة تنسب الى حدان بن شمس بن عمرو بن غنم بن نصر بن الازد ، معجم قبائل العرب ـ لعمر رضا كحالة : ط ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٤٩م .
١١٥ ـ الديوان : ٥٩٠ .
١١٦ ـ انظر تحفة المستفيد : ١٠١ وانظر : التحفة النبهانية : ٩٦ ، وانظر شرح الديوان/ ٥٣٣ .
١١٧ ـ الديوان : ٥٣٢ .
١١٨ ـ نفسه ٥٣٣ .
١١٩ ـ نفسه ٥٣٧ وناقة خيفانة : سريعة والظليم : ذكر النعام والنقيذ : فرس أنقذته من العدو .
١٢٠ ـ والشرسكية : لعلها الشركمية ، الديوان : ٥٣٨ .
١٢١ ـ الديوان : ٤٦٩ .
١٢٢ ـ المصدر نفسه : ٤٧٠ يذبل : جبل مشهور بنجد ، ويلملم : جبل على مرحلتين من مكة (القاموس : ٤/١٧٧) .
١٢٣ ـ الديوان : ٥٤٦ .
١٢٤ ـ المصدر نفسه ٥٣٨ .
* ـ جاء في هامش الديوان ص ٥٣٨ أن ملكا من ملوك العجم كان ببلاد قارون (ولعلها حوض نهر قارون ببلاد فارس) فخرج يريد الاحساء في جيش عظيم ، وكان أميرها حينئذ عبدالله بن على العيوني الذي استطاع ان يضللهم في الصحراء بمساعدة الادلاء من البدو ، ما بين البحرين وعمان ، وأفسد بالتالى خططهم ، وأهدافهم .
١٢٥ ـ عمران محمد العمران : ابن مقرب حياته وشعره : ٤٤ .
١٢٦ ـ التحفة النبهانية : ٩٩ .
١٢٧ ـ أبوسنان هو محمد بن الفضل بن عبدالله العيونى .
١٢٨ ـ أحمد هو أبو الحسين بن محمد بن الفضل بن عبدالله العيونى .
١٢٩ ـ نزوى : النزوة : جبل بعمان وهو قصبة الخوارج في عمان (القاموس الفيروزابادى ٤/٣٩٥).
١٣٠ ـ الديوان : ٧٨ ـ ٧٩ .
١٣١ ـ تحفة المستفيد : ١٠٤ .

١٣٢ ـ الديوان : ٥١ ـ حد ناعب : حى من العرب .
١٣٣ ـ الديوان : ٢٠٧ .
١٣٤ ـ الديوان : ٢٠٨ .
١٣٥ ـ الديوان : ٣١٠ .
١٣٦ ـ الديوان : ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ، والشازب : الضامر ، والمراسل : الابل السهلة السير . والدجانى : اسم ماء في الجانب الغربي من الدهناء ، والأين : التعب والنصب ، والشوى : اليدان والرجلان والأطراف والخامعات : الذئاب او الضباع ، والعسال : الذئب ، والنحام : البخيل .
١٣٧ ـ الديوان : ٣٥٥ .
١٣٨ ـ نفسه : ٣٥٥ .
١٣٩ ـ نفسه : ٣٥٧ ، وانسل وتسلل : انطلق في استخفاء .
١٤٠ ـ الديوان : ٦٢١ وخفان : مأسده .
١٤١ ـ الديوان ٦٢١ ـ ٦٢٢ .
١٤٢ ـ ينظر : الديوان ٥٤٧ ـ ٥٤٨ .
١٤٣ ـ نفسه : ٥٤٧ ودرم : أسم رجل قتل فلم يدرك بثأره فصار مثلا « أودى درم » اللسان : درم .
١٤٤ ـ تستر : أعظم مدينة بخوزستان ، وهى على مرتفع من الارض ، وتستر تعريب ششتر (نقلا عن الديوان : ٢٢٣) .
١٤٥ ـ نفسه : ٢٢٣ والنبيت : أبو حى باليمن ، اسمه عمرو بن مالك (القاموس : ١٥٨/١) وقيذار بن اسماعيل : ابو العرب (القاموس : ١١٥/٢) .
١٤٦ ـ الديوان : ٥٩٤ .
١٤٧) ابن مقرب ـ حياته وشعره : ٤٧ .
١٤٨ ـ الديوان : ١١٠ .
١٤٩ ـ د . شوقي ضيف : سجل شعري تاريخي فريد : مقالة بمجلة مجمع اللغة العربية : عدد ٣٨ ، ١٩٧٦ .
١٥٠ ـ د . شوقي ضيف : سجل شعري تاريخي فريد : مقالة بمجلة مجمع اللغة العربية : عدد ٣٨ .
١٥١ ـ الديوان ٥٤١ .
١٥٢ ـ القصيدة ذاتها : ٥٤٢ .
١٥٣ ـ القصيدة ذاتها : ٥٤٤ .
١٥٤ ـ السيب : نهر بالبصرة ، وفي قرى كثيرة (مراصد الاطلاع : ج ٧٦٣/٢) . تحقيق على البجاوي : دار إحياء الكتب العربية : ١٩٥٤م .
١٥٥ ـ الديوان: ١١١ ـ ١١٢ ـ ١١٣.
١٥٦ ـ تحفة المستفيد: ١٠٨ ـ ١٠٩ وانظر : مخطوطة مجهولة المؤلف بدار الكتب المصرية تسلسل: ٦٣٧ تاريخ.

١٥٧ ـ الديوان : ١٠٥ ـ ١٠٦ .
١٥٨ ـ المصدر نفسه : ٨٩ .
١٥٩ ـ قيس (كيش) وهو تعجيم قيس ، جزيرة في وسط البحر تعد من أعمال فارس ، لأن أهلها فرس ، وتعد من أعمال عمان (معجم البلدان : ٣٠٦/٧) وجاء في دائرة المعارف الاسلامية أن قيس جزيرة صغيرة في بحر عمان ، وأن أسرة من قبيلة القيس استطاعت في زمن النبي محمد (ﷺ) أن تقيم لها دولة فيها . وظهرت أهمية هذه الجزيرة في نهاية العصر الوسيط عندما برز أمير من جنوب الجزيرة العربية ، واحتلها ، وبنى أسطولا ، وأخذ ينشر نفوذه ، وبدأت الجزيرة تتمتع بازدهار متواصل ، أصبحت مركزا للتجارة الهندية الفارسية الصينية . وقد خلط ابن بطوطه في تحفته (ص ٣٤٤) بين : سيراف كمدينة تقع على الساحل الشمالي القريب من الجزيرة ، وبين جزيرة قيس .
(Incyclopeedia of Islam· Leyden· London 1927· vol 74 : 649)
١٦٠ ـ سترة : هي شبه جزيرة سترة بالبحرين الحالية ، تكتسب أهميتها الآن من وجود أكبر مصفاة لتكرير النفط في المنطقة بها .
١٦١ ـ انظر : الديوان : ٥٥٠ .
١٦٢ ـ شامة والحاشك : لعله يقصد بهما قوم الملك أبي كرزاز ، والرقم : الداهية (القاموس : ٤/ ١٢١) .
١٦٣ ـ الديوان : ٥٥٠ .

١٦٤ ـ المصدر السابق نفسه : ٥٩٤ ـ ٥٩٥ .
١٦٥ ـ ابن مقرب حياته وشعره : ٤٧ .
١٦٦ ـ انظر الديوان : ٦٣١ وقيس وغيلان : خصومهم لأنهم أعز بادية بأرضهم .
١٦٧ ـ المصدر نفسه : ٣٦٩ .
١٦٨ ـ انظر المصدر نفسه : ٦٣١ .
ابو على ابراهيم بن عبدالله بن عزيز بن ابراهيم بن أبى جروان ، وعزيزا أحد بنى بيرق ، وهو عمرو بن عبدالله بن مالك بن عامر ، وكانت صلة ابن المقرب به طيبة ، لما بينهما من خلطة ولحمة نسب ، وقد مدحه بقصيدتين يفهم منهما أنه من قبيلة عبدالقيس ومن زعماء الاحساء (الديوان : ١٦٧ .

ســـاد الـــورى طفـــلا وبـــرز يـــافـــعـــا
لـــم يثـــغـــر وبنـــى المكـــارم أمـــردا

آبـــاؤه مـــن عبـــدقيس خـــيرهـــا
حسبـــا واكـــرمـــهـــا وأوســـعـــهـــا نـــدى

(الديوان ١٦٧)
ويقول من قصيدة أخرى :

فتى حل من عليا لكيز وعامر
بأعلى محل من ذرى وقلال
أخ وابن عم حين أدعو ووالد
شقيق وخل لا يخون وكالى
كفى ساكن البحرين كل عظيمة
وناء بأعباء تكون ثقال

الديوان : ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

١٦٩ ـ الديوان ٦٣٢ ـ ٦٣٣ .
١٧٠ ـ المصدر نفسه : ٦٣٤ .
١٧١ ـ المصدر نفسه : ٤٦٤ .
١٧٢ ـ الكثيب : طرف الاحساء الجنوبى .
١٧٣ ـ والعيون : طرفها الشمالى . والمحاديث من ارض العيون .
١٧٤ ـ وحلوان : مكان بين الاحساء والقطيف .
١٧٥ ـ والخط : هى القطيف .
١٧٦ ـ وصفواء : طرف القطيف الشمالى .
١٧٧ ـ والظهران : طرف القطيف الجنوبى .
١٧٨ ـ ١٧٩ ـ المروزان وكرزكان : قريتان فى جزيرة اوال (الديوان : ٦٣٨/٦٣٩) .
١٨٠ ـ نفسه : ٦٣٨ ـ ٦٣٩ .
١٨١ ـ نفسه : ٦٤٠ ـ ٦٤١ .
١٨٢ ـ الديوان : ٣٦٩ .
١٨٣ ـ المصدر نفسه : (٣٧٠) .
١٨٤ ـ المصدر نفسه : ٣٨٥ ـ ٣٨٦ .
١٨٥ ـ الديوان ٣٨٤ ـ ٣٨٥ .
١٨٦ ـ نفسه : ٣٨٥ .
١٨٧ ـ القرحا : سيف القطيف (الديوان : ٣٨٧ ـ .
١٨٨ ـ نفسه : ٣٨٧ .
١٨٩ ـ نفسه : ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .
١٩٠ ـ نفسه : ١٣٤ .
١٩١ ـ نفسه : ١٤ .
١٩٢ ـ الديوان : ٦١٠ .
١٩٣ ـ نفسه : ٤٥٦ .
١٩٤ ـ نفسه : ٤٥٦ ـ ٤٥٧ .
١٩٥ ـ نفسه : ٦١٠ ـ ٦١١ .
١٩٦ ـ نفسه : ٦١١ .

١٩٧ ـ الديوان : ٦١٥ ـ ٦١٦ .
١٩٨ ـ نفسه : ٦١٦ .
١٩٩ ـ نفسه : ٢٥٥ .
٢٠٠ ـ نفسه : ٢٥٥ .
٢٠١ ـ نفسه : ٢٥٧ .
٢٠٢ ـ الديوان : ١٦٩ .
٢٠٣ ـ نفسه : ٢٤٢ .
٢٠٤ ـ انظر : تحفة المستفيد : ١١٨ وانظر : ابن مقرب حياته وشعره : ٤٨ .
٢٠٥ ـ تاريخ ابن خلدون : ٤ : ١٩٦ .
٢٠٦ ـ انظر : التحفة النبهانية ٩٩ ـ ١٠٠ .
٢٠٧ ـ البحرين من امارات الخليج العربي : ٢٦ .
٢٠٨ ـ ابن مقرب حياته وشعره : ٤٨ .
٢٠٩ ـ انظر : عبدالحميد غنيم : مشكلات الحدود السياسية في الساحل الغربي للخليج العربي : ٣ ـ ٤ رسالة مخطوطة بمكتبة آداب القاهرة ، ١٩٧٥ .
٢١٠ ـ يوسف خليف : الشعراء الصعاليك : ١٢٥ ـ ١٢٦ ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٥٩ .
٢١١ ـ تحفة المستفيد : من المقدمة لحمد الجاسر .
٢١٢ ـ البحرين من امارات الخليج العربي : ٢٠ .
٢١٣ ـ تحفة المستفيد : من المقدمة لحمد الجاسر .
٢١٤ ـ تحفة المستفيد : ١٩ .
٢١٥ ـ مشكلات الحدود السياسية : ٥ .

٢١٦ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان : ٢/٧ ، وانظر : البكري : معجم ماإستعجم وانظر ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر : ١٩٧/٤ .
٢١٧ ـ انظر : المقدسي : أحسن التقاسيم : ٥٩ : مطبعة بريل : ليدن ١٩٠٩م ومعجم البلدان : ٣٤٦/١ ، والعبر : ١٩٧/٤ .
٢١٨ ـ معجم البلدان : ٧٢/٢ .
٢١٩ ـ المصدر السابق نفسه : ٧٢/٢ .
٢٢٠ ـ المصدر السابق نفسه ٤٤٦/٨ .
٢٢١ ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب : ١٣٦ ، مطبعة السعادة : القاهرة ١٩٥٣م .
٢٢٢ ـ القلقشندي : صبح الأعشى : جـ ٥٥/١٣ : المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤م .
٢٢٣ ـ معجم البلدان : ٧٣/٢ .

٢٢٤ ـ ابن خرداذبه : المسالك والممالك : ١٥٢ مطبعة بريل : ليدن ١٨٨٩م .
٢٢٥ ـ صفة جزيرة العرب : ١٧٨ .

٢٢٦ ـ عمر رضا كحاله : جغرافية شبه جزيرة العرب : ٢٦١ : المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٤٤ .
٢٢٧ ـ أبو الفداء : تقويم البلدان : ٩٩ : دار الطباعة السلطانية بباريس ١٨٤٠م .
٢٢٨ ـ تحفة المستفيد :٣ .
٢٢٩ ـ صفة جزيرة العرب : ٣٦ ويقول ابن سيده والزجاج والأزهري كل نهر عظيم لا ينقطع ماؤه فهو بحر ـ لسان العرب : (مادة : بحر) .
٢٣٠ ـ أمين الريحاني : ملوك العرب :٢٢٣ : دار صادر ، ريحان : بيروت ١٩٥١م .
٢٣١ ـ ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار : ١/١٧٧ : مطبعة الاستقامة : ١٩٧٦م . وجاء في لسان العرب أن سيبويه يقول بحراني في النسب الى البحرين التي هى مدينة . (انظر اللسان : مادة بحر) .
٢٣٢ ـ العبر : ٤/١٩٧ . معجم البلدان : ١/١٣٧ .
٢٣٣ ـ معجم البلدان : ١/١٣٧ .
٢٣٤ ـ «واحساء القرامطة غير الاحساء الموجودة الان ، وانما موقعها عين الجوهرية ، والمكان المعروف بالبطالية ، وأما الاحساء الموجودة الآن فهى من بناء الأتراك بعهد الوالي فروخ باشا» .
(ديوان ابن المقرب : المكتب الاسلامي بدمشق : الطبعة الثانية ١٩٦٨ ـ من المقدمة من رسالة بعث بها الشيخ يوسف بن راشد المبارك للمكتب بدمشق مصححا بعض المعلومات الواردة في الطبعة الأولى) .
٢٣٥ ـ عبد الفتاح الحلو : شعراء هجر : حـ من المقدمة : مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة ١٩٥٩م .
٢٣٦ ـ دائرة المعارف الاسلامية : ٣١٩/٤٥ .
٢٣٧ ـ معجم البلدان : ١/١٣٦ ـ ١٣٧ .

٢٣٨ ـ محمد متولي : حوض الخليج العربي : ٦٣ : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠م .
٢٣٩ ـ حافظ وهبة : جزيرة العرب : ٦٨ : لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٥٦م .
٢٤٠ ـ انظر : لوريمر : دليل الخليج (القسم الجغرافي) : جـ ٢/٨٢٠ ترجم وطبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر (بدون تاريخ) .
٢٤١ ـ المرجع السابق نفسه : ٢/٨٢٠ .
٢٤٢ ـ جزيرة العرب : ٦٩ .

٢٤٣ ـ تحفة النظار : ١٧٧/١ .
٢٤٤ ـ حوض الخليج العربي : ٦٣ .
٢٤٥ ـ انظر : جزيرة العرب : ٦٩ .
٢٤٦ ـ المرجع نفسه :٧٢ .
٢٤٧ ـ تحفة النظار : ١٧٧/١ وانظر : العبر : ١٩٧/٤ .
٢٤٨ ـ انظر : مشكلات الحدود السياسية في الساحل الغربي للخليج العربي : ٨